١٠٨٢
1082
HARLEQUIN
كبير
دار م. النحاس

عودة الغائب

بيني جوردان

www.elromancia.com

مرموزية

عودة الغائب

بيني جوردان

هل عاد لاجلهما... ام لأجل ابنهما؟

لم تكن الحياة سهلة على ام تربي ابنها بمفردها. لكن وين وبطريقة من الطرق تمكنت من أن تربي ولداً تفتخر بتربيته أي ام اخرى. الآن، عاد والد شارلي ليظهر على الملأ... طالباً حضانة ابنه. لكن هل كان ذلك كل ما يريده؟ أو هل أن زوجها السابق عاد لياخذ منها شارلي؟

تمكن جايمس وفي ايام قليلة ان يقلب حياتها وثقتها بنفسها الى عذاب لا يحتمل ولا يطاق. لكن هل الذي يقلقها الآن مستقبلها هي شخصياً ام مستقبل شارلي؟

لبنان: ٣٠٠٠ ل.ل - سوريا: ٦٠ ل.س - الكويت: ٧٥٠ فلس - البحرين: ١ دينار - قطر: ١٠ دراهم - السعودية: ١٠ ريالات - الامارات: ١٠ دراهم - الاردن: ١,٥ دينار - مصر: ٢,٥ جنيه - المغرب: ٨ درهم مغربي. - سلطنة عمان ١ ريال.

يجب ألاّ يحدث ذلك، يجب ألاّ تكون معه. انه عمل خاطىء وخطر، لأنه سيؤذيها مرة اخرى وبالطريقة التي اذاها بها سابقاً.

اخذت هذه التحذيرات تدور في رأس وين كالمقطع الذي يتردد في كل اغنية، لكن قلبها ابى ان يصغي الى نداءات عقلها. وبجزع شديد، اتضحت لها الحقيقة كاملة والتي كانت قد حجبتها عنها منذ سنوات طويلة.

انها ما زالت تحبه.

بيني جوردان

كانت كاتبة هذه الرواية تعاني المشاكل الكثيرة في ايامها الدراسية بسب عدم الاصغاء في الحصة والاسترسال في احلام لا نهاية لها... خاصة في درس اللغة الفرنسية. كانت في فترة المراهقة مولعة بقراءة القصص العاطفية، ولم يخطر ببالها كتابة القصة الا عندما غدت اكبر سناً. وقالت مرة وهي تتذكر: «محاولاتي الست الاول في الكتابة باءت بالفشل، ولكنني ثابرت في محاولاتي الى ان كتبت قصة كاملة.» ثم اخذت تشجع نفسها في ارسالها الى الناشر، لأن شيئاً في داخلها كان يقول لها بإن القصة سترفض. لكنها لم ترفض، بل طلب منها المزيد. بيني الآن متزوجة وتعيش مع زوجها في شيشاير.

الفصل الأول

«وين، ماذا هناك؟»

رفعت وينتر نظرها عن فنجان القهوة وشعرت بالخجل لعدم اصغائها وانتباهها لحديث صديقتها.

انها وصديقتها هيزر قد مضى على تعارفهما عشر سنوات. لقد تعرفت اليها في اليوم الأول عندما بدأ طفليهما يخطوان أولى خطواتهما في احد الملاعب، والسبب الرئيسي للقائهما هذا اليوم للتحدث في كيفية القيام ببعض التحضيرات للاحتفال بالعيد العاشر لتعارفهما ببعض.

ومما قالته هيزر: «سنذهب إلى مكان خاص جداً، انما ليس إلى الفندق، خاصة لأنك تعملين فيه.»

فهمت وينتر من التغير في نبرة صوت هيزر بأن القصد من كلامها لم يكن فقط لأنها تعمل في الفندق كمسؤولة عن الموظفين وعلى نظام سير قسم الاستعلامات، بل قصدت أيضاً علاقتها بتوم لونغتون صاحب الفندق.

وتابعت هيزر تسألها مستوضحة: «ليس توم، اليس كذلك؟... اعتقد انك وهو...»

قاطعتها وينتر تحسم الموقف: «لا، ليس توم.» انما لا يوجد سبب يدعوها لتكتم ما حصل معها عن هيزر. على أية حال، انها تعلم جيداً ان إبنها شارلي لن يضيع الفرصة وسيسرع ليخبر داني ابن هيزر، بالخبر المفرح. انه مفرح

بالنسبة لشارلي اكثر مما هو لها، وتراه بعيداً من ان يكون مفرحاً، لا بل تعتقد انه اسوأ خبر تلقاه منذ فترة طويلة.

ثم قالت بكآبة: «ان جايمس عائد.» ولما لاحظت علامة الاستفهام على وجه هيزر، تابعت تضيف: «والد شارلي.»

بدت الصدمة على وجه هيزر، فابتسمت وينتر بكآبة وألم. فالصدمة التي تلقتها هيزر لم تكن شيئاً بالنسبة للصدمة التي تلقتها هي نفسها عندما ابلغها شارلي بالخبر بينما كانا يتناولان طعام الفطور منذ اربعة ايام. وكان قد ابلغها الخبر بطريقة قاسية ولاذعة، وهي الطريقة التي بات يستعملها دائماً هذه الأيام.

ربما كان عليها ان تتوقع هذا التغيير المفاجيء فيه، خاصة وانه قد بلغ الثالثة عشرة الآن، ولم يعد طفلاً. ولكن الذي آلمها، ان تبادر إلى هذه المعاملة بعد ان حضنته وهو طفلاً رضيعاً إلى ان بدأ خطواته الأولى، فكان حنانها وعطفها يحوطانه من كل صوب، وها هي الآن تراه يرفض منها معاملة من هذا النوع.

تذكرت كيف انه لم يكن من السهل عليها تربيته والسهر عليه بمفردها بعد طلاقها لكنها كانت تطمئن دائماً انه سعيد معها، وانها قد تمكنت من ان تعوض له حنان الأب، وبالأخص أب مثل جايمس، الذي اظهر استياءه وغضبه من ابنه اكثر من المحبة والعطف.

قالت هيزر اخيراً: «ولكنني اعتقدت انه في استراليا، وقد ملأ الحسد قلوب اصدقاء شارلي عندما سافر ليمضي اجازته هناك منذ سنتين.»

تنهدت وينتر: «نعم... حسناً. يبدو الآن انه قرر العودة،

وليست لدي اية فكرة عن سبب عودته، حتى انني لا اعرف لماذا اختار في ان يعود إلى هنا... ولطالما كان طموحاً وناجحاً جداً. والاعمال الالكترونية التي ابتدأها في استراليا تبدو مثمرة. ولا انكر ابداً كرمه المادي معي. وكما فهمت من شارلي، انه يريد ان ينهي أعماله كلياً في سيدني ويعود إلى هنا.»

سألتها هيزر: «نهائياً؟»

تنهدت وين من جديد: «لا فكرة لدي، فنحن لا نتصل ببعضنا البعض ولا لأي سبب. وعلى أية حال، لا ادري سبباً يخولنا لذلك.»

اشارت هيزر قائلة: «لكنه يتصل بشارلي... انه مولع بأبيه، أليس كذلك؟»

ارتجف قلب وين لما قالته صديقتها. فهيزر لم تتعرف بجايمس، ذلك لأن وين لم تبدأ ترافق طفلها إلى الملعب الا بعد طلاقها، حيث ان طبيبها كان قد نصحها بذلك بعد ان رأى مدى تعلقها الشديد والغريب بحب ابنها الصغير.

«يبدو عليه ذلك.» وافقت دون تفكير وربما ذلك لأنها ما زالت متأثرة بالخبر المؤلم الذي انبأها به شارلي. ثم انفجرت غاضبة لا تستطيع كبح جماح عواطفها: «مع انني لا اعلم لماذا، خاصة عندما بلغ سن السادسة، كان جايمس يتجاهل الأمر، ولا يعترف بوجود شارلي.»

نظرت هيزر اليها بعطف. فمع ان وينتر لم تكن من النوع الذي يقول ما في قلبه بسهولة، ولكن ما ان توطدت الصداقة بينهما، حتى فتحت وينتر قلبها فعلمت صديقتها بالظروف المؤسفة التي تحيط بها وقصة الزواج الذي لم يدم وانتهى وبكل أسف بالطلاق.

والذي اعتقدته هيزر ومازالت تعتقد به الآن، ان اكثر الأمور التي تؤلم المرأة وتجرحها في الصميم، عندما تكتشف بأن زوجها لم يكن صادقاً ومخلصاً لها بمشاعره، خاصة بعد ان تستعيد نشاطها من عملية ولادة عسيرة وتلد له طفلهما الأول، وخاصة ايضاً عندما تجد ان الطفل ولد ضعيفاً ومريضاً ويحتاج إلى رعاية صحية دائمة، وفوق كل ذلك لم تبلغ الأم بعد سن العشرين من عمرها والتي كانا والديها يمانعان زواجها المبكر هذا. انه حقاً أمر صعب للغاية.

لكن وينتر لم تستدر عطف أو شفقة أحد من الناس، وذلك لأنها لم تكن من هذا النوع. كانت متمسكة باستقلاليتها بعناد. وكانت قوية العزم والارادة لتقف على قدميها دون ان تطلب أية مساعدة من أي كان، وصبرت وتحملت الصعاب لتواجه أيامها المقبلة بتحد وثقة.

من المعروف ان وينتر لها شخصية خاصة، ومنعزلة بعض الشيء، وتصرفاتها متحفظة... ولكن وبعد ما تأذت في الصميم، فلا عجب من ان تتبدل تصرفاتها.

لم تندهش هيزر وهي التي تعرفها جيداً، لعدم زواجها مرة ثانية، بالرغم من انها جذابة جداً. فالعديد من الرجال ابدوا اهتمامهم بها، ولكنها لم تأبه لذلك، بل قررت متابعة دراستها حتى النهاية، ومن ثم حصلت على وظيفتها الحالية مع توم لونغتون.

كما انه لم يندهش احد اكثر من اندهاش هيزر، عندما وافقت على مرافقة توم لأول مرة. فهي تخرج معه منذ اشهر عديدة وقرابة السنة في الواقع.

في البداية وعندما اشترى توم ذلك البناء الجورجي المتهدم في ضواحي البلدة قائلاً بأنه عازم على ان يحوله إلى فندق من الدرجة الأولى، يتضمن نادٍ تتوفر فيه كل اسباب الراحة، سخر منه الجميع، مدعين بأنه ليس بالمكان المناسب لمثل هذا المشروع.

لقد كانوا على خطأ فيما اعتقدوه، حتى ان توم نفسه لم يفكر بأن سكة للحديد ستمر امام فندقه والذي جعل الحركة مستمرة ووفود الزبائن مستمر بطريقة سهلة ومريحة. وها هو توم الآن يتحدث عن بناء غرف اضافية وشراء قطعة ارض قريبة من الفندق تمهيداً للعبة الغولف.

نادراً ما كانت وينتر تتكلم عن مشاريع توم حتى مع الصديقة الأقرب اليها. وتتساءل هيزر احياناً، هل من الممكن ان تتزوج توم؟ انهما مناسبان لبعضهما، مع ان توم يبدو احياناً عدوانياً، متقلب المزاج، أو ربما متغطرساً بعض الشيء بالطريقة التي يقارن بها نفسه بنجاحه، مع من كانوا اقل منه نجاحاً. لكنه ومع كل ذلك، كان يظهر اهتماماً نادراً لوينتر.

لكن ليس لشارلي؟

لطالما تساءلت هيزر فيما لو لاحظت وينتر الاستياء والكره بين ابنها ومدير عملها الصديق. انها لو لاحظت شيئاً من هذا، فلماذا لم تذكره امامها، ومن الصعب على هيزر ان تفاتحها بمثل هذا الموضوع. في البداية وعندما رأت الشحوب على وجه صديقتها وعدم تركيزها واصغائها للذي كانت تحدثها به، اعتقدت بأن بعض المشاكل حصلت بين شارلي وتوم.

كذلك تساءلت هيزر فيما لو يثير اهتمامها اي رجل كما يحدث مع ابنها. لكن قد يكون سبب اهتمام وين البالغ بشارلي كونه وحيداً بينما هيزر لديها ثلاثة أولاد. أو ربما لأن شارلي كان مريضاً جداً في طفولته يعتمد عليها في كل أموره، وذلك بعد رحيل جايمس عنهما. كما انه كان يبدو دائماً على وين التعلق الشديد بشارلي اكثر من تعلق هيزر بأولادها الثلاثة.

كانت في بعض الأحيان تحسدها على شعورها ذلك. ولكن وبعد ان افضت وين لها ذات يوم، وهي في حالة يرثى لها، بمأساتها، قلقت عليها وخشيت بأنها قد تكون تخنق شارلي بحبها هذا، مما قد يؤدي بها وبصفتها المسؤولة وحدها عنه، أن تعتبر مذنبة بمحبتها الفائضة له، وذلك بعدم منحه الحرية التي يحتاجها لينشأ ويشب بطريقة سليمة كأي فرد من الأفراد، ولذلك عليها أن تخفف عنه قليلاً، خصوصاً أنه ناجح في دروسه، وبالتالي ان تتيح له الفرصة لاقامة علاقات مع آخرين بعيداً عنها.

كانت وين في نظر هيزر، الأم الرائعة، حتى عندما عرفت بأن وين تشعر بالذنب منذ اليوم الذي اظهرت فيه استياءها وامتعاضها لاتصال جايمس المفاجيء، عندما اصبح شارلي في سن السادسة يستأذنها برؤيته.

ووقتها قالت لهيزر بمرارة: «اعتقد بأنه يجب ان البي طلبه من اجل شارلي.»

فاجابتها هيزر حينها: «على الأقل، وبوجود جايمس الدائم في استراليا، لا اعتقد بأنه سيعكر صفو حياتك وحياة شارلي.»

تكلمت الآن هيزر لتبعد وين عن افكارها وقالت: «اعتقد ان شارلي مبتهج جداً الآن.»

التمعت المرارة في عيني وين، وعادت تفكر في نفسها. فهي اقصر قامة من هيزر، ونحيلة، لكن وبما انها كانت تعتني بمظهرها، كانت تبدو بأنها الأطول قامة. وكان شعرها بنياً كثيفاً تهتم بتسريحه بشكل بديع. كما ان عيناها كانتا تذكران هيزر بحبات الكرز المتلألئة تحت اشعة الشمس. وفي مناسبات كثيرة حيث تفقد السيطرة على نفسها وتسمح لمشاعرها الحقيقية بأن تظهر، كما هي الآن، تبدو عيناها تشتعلان بحماس مذهل على كل المصاعب بالرغم من طبيعة نفسها الهادئة.

أجابت وين بطريقة مروعة: «تقولين مبتهج فقط؟ لا بل انه متحمس جداً.»

أجابت هيزر ممازحة: «افهم اذاً، بأن عودة أبيه حدث يتحمس له حتى اكثر من ان يفوز فريقه الرياضي المفضل.»

لكن هذه النكتة لم تضحك وين، بل بادرتها بالنظر اليها بنظرات مبهمة.

«اذا كان جايمس يعتقد بأنه يمكنه أخذ شارلي مني... كأن يجذبه إليه... أو يغريه بطريقة ما...»

«يأخذه منك؟ لكنه لا يمكنه فعل ذلك. الا تملكين الحق في حضانته؟»

«شرعاً، نعم.» اجابت وين على الفور، وبدت عيناها فجأة محمرتان كسيرتان. وافضت إلى صديقتها بارتعاش: «هيزر. ان شارلي يحب والده كثيراً، فمنذ ان امضى اجازته في سيدني، لا اذكر انه يوماً توقف عن ذكر ابيه. فلو استقر

جايمس في هذه البلدة، وهذا ما يبدو بأنه سيقوم به، فإن شارلي سيرحب بذلك كثيراً. ولا اخفي عليك بأنني وشارلي لا نمر بأوقات جيدة في الوقت الحاضر. انه لا يتفق مع توم وهذا خطأي منذ البداية على ما اظن. لأنه لم يعتد على رؤيتي مع اي رجل منذ تفتحت عيناه على هذه الدنيا... ولا يجب ان ننسى بأن توم ليس من الصنف الدبلوماسي. ومن يراهما معاً يعتقد بأنهما في حلبة لصراع الثيران.»

لم تستطع هيزر تمالك نفسها من الضحك قليلاً، مع انها تتعاطف وتتفهم واقع وحقيقة ألم صديقتها.

ثم سألتها بلطف: «هل تخشين من عودة جايمس إلى الساحة في ان تزيد الأمور تعقيداً بين توم وشارلي؟»

«هذا أحد الأسباب. ولكن الذي اخشاه اكثر، هو ان يسأل جايمس شارلي لو يرغب في العيش معه. أوه، لا تعتقدي بأنه لا يمكن حدوث مثل هذا الشيء. اعرف بأنه شرعاً يحق لي بحضانة شارلي، لكن ماذا لو اغراه جايمس بأشياء واقنعه في الذهاب معه... فالولد الآن يكن لوالده حباً عظيماً ويعتقد، بأنه الأمثل له... ولا يمكن ان يتذكر ويفهم كيف كانت الأمور يوم ولادته، وكم كان جايمس غاضباً مني بسبب الحمل في المرتبة الأولى، إذ لم يكن قد خطط لولادة شارلي، وقد حصل ذلك بمحض الصدفة، ودون سابق تصميم. كنا وقتها مازلنا في الشهر الرابع لزواجنا، وكما تعلمين لا اهلي ولا اهل جايمس وافقوا على زواجنا هذا. كان جايمس في السادسة والعشرين وقد تخرج حديثاً وغير مستعد بعد، بينما كنت أنا في التاسعة عشر من عمري. وادركت بعد ما حصل لماذا كانا يريدان منا ان

نتريث، لكننا كنا متحابان... أو لنقل انني انا من كان يحب ويتفانى في حبه.»

«لكن من المؤكد ان جايمس تغير يوم ولادة شارلي؟»

قاطعتها وين قائلة وهي تنفي بحركة من رأسها: «لقد كان غائباً يوم ولادة شارلي. فبعد ان اكتشفنا بأنني حامل، حصل على عمل جديد حيث كسب منه مالاً وفيراً، ولكنه جعله يتغيب كثيراً كل يوم، يخرج صباحاً في الساعة السابعة ولا يعود في اكثر الاحيان، واذا عاد ففي الساعة الثامنة أو التاسعة ليلاً. ويوم دنا موعد الولادة، كان هو يشارك في مؤتمر ما، حاولت الاتصال به، لكنها ابلغتني انه من المستحيل تنفيذ ذلك.»

ليس هناك من داعٍ لهيزر ان تسأل عن هوية من ابلغتها، فقد سبق لها وان عرفت كيف اكتشفت وين بأن زوجها متورط بعلاقة عاطفية مع سكرتيرته الخاصة.

وتابعت وين كلامها: «لا، لم يكن جايمس يريد شيئاً من شارلي، وقد كان يشكو دائماً من صراخه وبكائه وبأنه يؤثر على اعصابه. وكان يمكنني ان ارى تعابير القرف والاشمئزاز على وجهه كلما عاد إلى البيت من الحالة الفوضاوية فيه، ومني.»

عادت وين تتنهد لتتابع: «ربما لو لم يضطر اهلي ليكونوا في ادنبرغ مع جدتي... لو انه كان يوجد احد ما معي ليساعدني على العناية بشارلي في فترة مرضه الشديد. لقد شعرت بالخوف والرعب يا هيزر، حاول من كانوا بقربي ان يكونوا لطفاء معي، لكن موظفو المستشفى جعلوني اشعر بأنني غير كفؤة، ولا يؤتمن علي برعاية

شارلي. لقد كان حجمه صغيراً جداً وبالتالي مريضاً جداً، ومشاكل مخيفة في امعائه... اعتقدت بأنه قد يموت، وهنا ألوم نفسي كل اللوم. ربما كان علي ان اعلم أمي في هذا الأمر، ولكنني تذكرت غضبها الشديد مني عندما اصريت على الزواج وعدم الذهاب إلى الجامعة كما قررت في السابق. وسبّب ذلك بيننا شق وقطيعة واعلم تماماً سبب ذلك، لكنني شعرت انني لا استطيع الاعتراف بأنها هي من كانت على حق وبأنني أنا المخطئة. لذا لم أكن قادرة على البوح لها عن هلعي الشديد على شارلي.»

قالت هيزر بعطف: «وماذا عن والدة جايمس؟»

أجابت وين: «كانت وزوجها في كندا يزوران شقيقة جايمس الكبرى، رحلة وفرا فيها المال الكثير والوقت الطويل ليقوما بها، وقد استقرا هناك الآن، لكنهما لا ينقطعان عن الاتصال ابداً.»

«مسكينة يا وين. لا بد انك عانيت الأمرين والأوقات العصيبة.» قالت لها هيزر، وهي تتذكر الفرح والابتهاج بمولودها الأول. وكانت وقتها في آواخر العشرينات من عمرها، وقد خططت وزوجها لانجاب إبنهما بول بعد ان شعر زوجها ريك بأنه بامكانه تحمل المصاريف اللازمة له وحتى ايضاً لانشاء عائلة اكبر. لقد كانت والدتها في ذلك الوقت مازالت على قيد الحياة ومستعدة كي تمد لها يد المساعدة، كما فعلت أيضاً والدة ريك وشقيقاته. وكان ريك قربها يوم الولادة، حتى انه امتنع عن العمل لمدة شهر بعد ذلك، ليكون إلى جانبها وجانب الطفل.

اجابت وين بالحاح: «انا المخطئة، وكان علينا، أنا

وجايمس، ألاّ نتزوج. كنت صغيرة جداً وغير ناضجة بعد على تربية الاطفال. ربما لو انني تزوجت بشخص آخر اقل انانية... آه، يا هيزر... أخاف أن يتقرب إلى شارلي ويعلّقه به. وأنت تعلمين كم أن شارلي يحب والده ويقدره، ولكنه لا يعرفه جيداً، واخشى متى عرف حقيقة والده... أعرف ان شارلي يحتاج إلى رجل في حياته، رجل يكون له المعين والمؤثر، لكن ليس رجلاً مثل جايمس...»

اسرعت هيزر تقول: «لكن هل انت متأكدة بأنه عائد ليستقر هنا وليست مجرد زيارة لا اكثر؟»

«هذا ما يبدو لي. على اية حال، انه رجل اعمال، وكما تمكن من تأسيس شركة للالكترونيات في استراليا، يمكنه ببساطة ان يؤسس اخرى هنا. اتعلمين، يصعب علي كثيراً ان اطلع شارلي على حقيقة والده، فشارلي يميل إلى العصبية والعناد... وهذا ذنبي على ما اعتقد، اشعر به احياناً بأنه يتوقع مني ان انتقد والده كي يهب مدافعاً عنه.»

سألتها هيزر بلطف: «هل حاولت مرة التكلم مع شارلي عن الأسباب التي ادت إلى طلاقك من والده؟»

نفت وين بحركة من رأسها وقالت: «لا، مع انني اعلم انه يلومني على هذا الطلاق. اكره نفسي على ان اقول مثل هذا القول، يا هيزر، لكن في بعض الأحيان... حسناً، اشعر واتمنى لو ان جايمس يظهر حقيقة نفسه ويكشف عن اوراقه امام شارلي، ومع ذلك اكره ان يحدث مثل هذا الشيء، لأنني اعلم كم ان ذلك سيؤلم شارلي ويعذبه.»

قالت هيزر برقة وهي تضم صديقتها إلى صدرها: «انك تحكمين على نفسك بقسوة، فأنت لست سوى انسان يا وين،

www.elromancia.com

واعلم كم قاسيت وتألمت. حسناً، الآن. أفهم ان جايمس ترك لك البيت ولم يحاول مرة ان يطالب بنصيبه منه، كما انه كان كريماً جداً من الناحية المادية...»

اسرعت وين تقول مقاطعة: «لم انفق منه قرشاً واحداً على نفسي.»

قالت هيزر: «أعرف انك لم تفعلي ذلك، واعرف أيضاً انه لم يكن سهلاً عليك عندما بدأ جايمس يظهر اهتماماً بشارلي ويرسل له رزم الهدايا من سيدني، ومن ثم استدعاه ليقضي اجازته معه.»

ردت وين: «اعتقد أن هذا ما دفعني وأنا أشعر بالأشواك تنكز اطراف جسدي إلى الالتحاق بالجامعة كي احصل على وظيفة افضل وايراد أكبر.»

اعترضت هيزر قائلة: «ولكنك لطالما اشتغلت وكافحت للوصول إلى الأفضل دائماً.»

ظهر الامتعاض على وجه وين وهي تقول: «أعمال اضافية، دون أي تحسن في الوضع... انها اعمال لا تدر سوى النذر القليل ولا تقبل بها سوى امرأة غير مؤهلة مثلي. وأدركت فجأة كم أنا امثل صورة حقيرة للمرأة بنظر شارلي، لذا اردته ان يفهم بأن المرأة يمكنها ان تكون منتجة وناجحة... اعتقد لو انني كنت صادقة معه... فقد كنت اظهر الغيرة دائماً عندما يبدأ بالحديث عن نجاحات جايمس، وهذا امر مؤكد، فعملي في الفندق يستحيل ان يقارن بصاحب شركة ناجحة.»

قالت هيزر بثقة: «اعرفك أفضل من ذلك. وأعرف انك لا تريدين من شارلي ان يقيس الناس من خلال نجاحهم

وتقدمهم المادي. لقد اجهدت نفسك لتشجيعه كي يكون انساناً مجرداً من هذه الاشياء، فكم جلست تراقبينه في الأيام الباردة وهو يلعب لعبة كرة القدم! ولطالما حنقت وغضبت منك كلما جاءني داني متذمراً بأنني لم اذهب مثلك لمراقبته وهو يلعب. ولا تنسي بانك ادخلت ابنك نادي الشطرنج ونادي السباحة و...»

توقفت هيزر عن الكلام عندما شاهدت الامتعاض على وجه وين التي قالت: «تجعلين الأمر يبدو وكأنني أنا التي ادفعه للالتحاق بنشاطات عدة. لقد اردت فقط ألاّ ادعه منطوياً على نفسه ووحيداً. انت لا تشعرين مقدار صعوبة تربية طفل بمفردك.» واخذت شفتاها ترتجفان فجأة، فادركت هيزر كم ان صديقتها مضطربة ومنزعجة من عودة زوجها السابق التي لم تكن في الحسبان.

«أوه.» تمتمت وين ثم سحبت محرمة ورقية من حقيبة يدها لتنفخ انفها وتتابع قولها: «اشمئز من الناس الذين يستدرون عطف غيرهم. والآن، عن أي احتفال كنت تتحدثين؟ فالاحتفال بعيد زواجك مازال امامه ستة اسابيع، أليس كذلك؟»

أجابت هيزر: «نعم، ولكني كنت افكر ان احتفل بعيدنا انا وانت.»

قطبت وين حاجبيها ثم استدركت وابتسمت قائلة: «عشر سنوات من الصداقة الطيبة... طبعاً، هذا ما تعنينه. إذن، ماذا يدور في رأسك؟»

أجابت هيزر: «أوه، لا اعرف... عطلة نهاية اسبوع في جزر هاواي... أو إلى أرز لبنان وشواطئه الدافئة.»

www.elromancia.com

ضحكت وين لتتابع هيزر متنهدة بحسرة: «لا. في الحقيقة الذي يدور في رأسي شيء، لطالما جذبني وأردت أن أقوم به، وهو تمضية يوم كامل في نادٍ للمصحة المائية حيث تهدأ وترتاح اعصابنا المتعبة و...»

قاطعتها وين موافقة: «ممم. يبدو شيء جميل، انما مكلف.»

أجابتها هيزر مؤكدة: «لكننا نستحقه.»

بدا الشك على وجه وين وهي تقول: «لكن شارلي يطالبني بحذاء جديد للرياضة، و...»

«لا.» قاطعتها هيزر بحزم، لكنها اضافت بلطف: «انك تبالغين في تدليله يا وين. ولا اعتقد ان هناك من مانع لو تأجل طلبه بعض الشيء. لقد آن الآوان كي تهتمي بنفسك انت.»

«ربما.» وافقت وين، ثم نظرت إلى ساعة معصمها ونهضت بسرعة قائلة: «أوه! كان علي ان اكون في عملي منذ خمس دقائق.»

مشت هيزر معها إلى سيارتها، فعندما منحها توم لونغتون تلك الوظيفة، منحها أيضاً سيارة جديدة الطراز، وكانت هيزر قد اعتقدت انه اختارها خصيصاً لوين اكثر من ان تكون لأجل اسباب تتعلق بالعمل، وكان شارلي قد عبر عن عدم رضاه بذلك امام والدته.

وبعد ان استقلت وين سيارتها سألتها هيزر: «متى بالضبط سيعود جايمس؟»

تجهم وجه وين قائلة: «لا اعرف. فقد بدا الحذر والاحتراس على شارلي عندما سألته ذلك، لذا لم اضغط

عليه اكثر. لكن كل ما اعرفه ان عودته ستكون قريبة جداً.»

وعندما ادارت محرك السيارة، نظرت إلى هيزر ومنحتها ابتسامة بائسة وتعيسة، ثم قالت: «لماذا يا هيزر عندما يعتقد المرء بأن الأمور بدأت بالتحسن والحياة تبدو رائعة وجميلة، تحصل أمور معاكسة؟»

تألم قلب هيزر لأجلها وهي تراقبها تبتعد بسيارتها، وبعد ان عادت ادراجها تساءلت بقلق فيما لو اطلعت وين توم بعودة زوجها السابق التي لم تكن على البال.

www.elromancia.com

الفصل الثاني

انطلقت وين بسيارتها. وقد كان بعد ظهر هذا اليوم مشحوناً بالعمل والحركة المتواصلة بالنسبة إليها، خصوصاً ان جماعة من الضيوف اليابانيين كانوا قد وصلوا دون إعلام مسبق. ولحسن الحظ، تمكنت إدارة الفندق من استقبالهم. ولكن وين مرت ببعض اللحظات الحرجة والمضطربة.

انها وفي كل الأحوال تحب عملها، وتواجه كل ما يطرأ عليه من جديد، بتحدٍ ورباطة جأش، كما انها أيضاً تحب الأشخاص الذين تلتقي بهم وتتعرف عليهم بحكم وظيفتها، فتعاملهم بكفاءة وبخبرة سنواتها الطوال. انها اليوم فخورة جداً بنفسها وبالأشياء التي حققتها، انما الذي كان يؤلمها، ان شارلي ودون قصد منه، كان يقارن بين ما حققته في حياتها وبين الذي حققه والده.

وتذكرت كم ضحكت عندما حاول والديها افهامها بأنها ستندم كثيراً على الفرصة التي فوتتها لدخول الجامعة، ولم تستمع عندها لنصائحهما التي كانت ستفرق بينها وبين جايمس لو أنها أخذت بها.

تذكرت أيضاً وبعد زواجها، كيف أن جايمس همس في أذنها في احدى الأمسيات متمنياً لو انها أكبر سناً بقليل، إذ أنها كانت صغيرة السن ولا خبرة لديها في أمور الحياة.

كان فندق توم يبعد عدة أميال عن البلدة، والفصل الآن

كان منتصف الصيف والنبات الأخضر يلمع تحت أشعة الشمس الدافئة على جانبي الطريق، والغيوم تكلل التلال العالية في المسافات البعيدة بأبهة وجمال.

كانت وين خلال ذلك في طريق عودتها إلى بيتها وقد شعرت بانقباض في صدرها، وبالأخص انها ستواجه وجه شارلي المتهم. وبدافع منها تحولت عن الطريق الرئيسية إلى طريق فرعية لتوقف سيارتها قرب مرج خصيب وفتحت النافذة. كان رأسها يؤلمها بعض الشيء من ضغوطات العمل الشاق في هذا اليوم، أو ربما من المخاوف التي سببها علمها بعودة جايمس. وأغمضت عينيها لتطلق لأفكارها العنان، فشعرت ببعض الراحة، التي كانت نادراً ما تشعر بها هذه الأيام، فكأنها ما زالت فتاة مراهقة لم تطأ بعد عتبة الزواج وتحلم بفارس أحلامها. ولطالما اتهمت وهي ما زالت فتاة صغيرة السن بأنها فتاة حالمة تتنقل بين الغيوم.

ابتسمت بمرارة للأيام والسنوات الطوال التي أضاعتها من عمرها وللحياة التي بدأت تتصارع معها في سن مبكرة وهي ما زالت لا تفقه منها شيئاً.

أخذت تتذكر كيف تعرفت اليه لأول مرة، وقد كانت خارجة من احدى الدكاكين، فاصطدمت به دون قصد، والتوى كاحلها مما سبب لها ألماً شديداً، ولكنه عندما أخذ يعالج كاحلها المتألم بعناية وروية، شعرت بالآلام تزول عنها فجأة كما جاءت.

وكان جايمس يسألها بقلق عما تشعر به، ولكنها كانت تشعر بانفعال شديد لقربه منها فلم تستطع اجابته.

وشعرت بانجذاب شديد اليه. إلى قامته المديدة والى شعره الداكن الكثيف وإلى سمرة بشرته. وكانت أصابع يده التي داوت كاحلها طويلة والأظافر نظيفة مقلمة بعناية بالغة. كان يطوق معصم يده بساعة ضخمة. وعندما لمست دون قصد سترته الجلدية، شعرت بنعومة ملمسها، لدرجة تمنت لو بامكانها أن تمرر بأصابع يدها عليها.

لكنها وعندما لم تجب على أسئلته المتكررة حول كاحلها، نظر إليها بغيظ، ولمحت في عينيه صفاء عيني النمر الذهبيتين فشعرت بغصة في حلقها وتماسكت أنفاسها. إنه شعور لم تشعر به يوماً في حياتها ولا تفقه معنى له، ولكنها ادركت أنها وقعت في شرك الحب.

وفي هذه اللحظات الحالمة، شعرت به يساعدها على النهوض من أمام المتجر، ويسير بها بلطف إلى حيث أوقف سيارته، قائلاً لها بأنه سيوصلها إلى بيتها. فأدركت من الأحاسيس التي بدأت تتحرك في نفسها، انه لو أخذها إلى القمر أو إلى أي مكان فانها ستنصاع إلى أوامره وتلحق به.

وعندما انطلقت بهما السيارة، علمت منه بأنه تخرج حديثاً من جامعة هارفارد، وبأنه ينوي أن يبدأ أعماله في حقل الالكترونيات، لكنه وفي الوقت الحاضر سيعمل في وظيفته في هذه المنطقة ليحضر نفسه أكثر قبل الخروج منها.

سألها عن اسمها، فأجابته وقد تورد خداها خجلاً عندما أعاد اسمها على مسامعها بعذوبة قائلاً: «وينتر. يا له من اسم فريد.»

فأخبرته بطريقة تحتاج للتعبير والخفة: «لقد ولدت في اليوم الأول من فصل الشتاء.» فلطالما اسمها الغريب احرجها وفضلت لو ينادونها بالاسم المصطلح عليه، وين.

فقال لها: «صحيح أن اسمك وينتر ويعني فصل الشتاء، ولكنك بعيدة جداً عن برودته وصقيعه.» وبينما كان يقول لها هذا الكلام، مال نحوها قليلاً متأملاً شعرها الذي كانت تفضله دوماً مسترسلاً فوق كتفيها النحيلتين، لكنها كانت ترفعه عن جبينها بواسطة شريطة ملونة. وكانت تظن دائماً بأن تسريحتها أقرب إلى الطفولة منها إلى النضج وتتمنى أن تقص بعضاً من اطرافه لتظهر أكثر جاذبية وأنوثة، لكن أشقاءها الأكبر سناً كانوا يسخرون منها، قائلين لها بأنها ما زالت صغيرة السن على اظهار انوثتها. ومن ناحيتها، كانت دائماً تنصاع وتذعن لارادتهم.

كان أشقاؤها بعيدين عنها في ذاك الصيف. غارث، الشقيق الأكبر، كان في نيوزيلاند ليتعرف أكثر على عائلة خطيبته، والتوأمان سيمون وفيليب، كانا في الولايات المتحدة لأشغال خاصة. أما جوناثان الذي كان في سنته الجامعية الأخيرة، فقد ذهب مع بعض أصدقائه التلاميذ ليقوموا ببعض الحفريات الأثرية، لذا فلقد كانت وين ولأول مرة في حياتها متحررة من اشقائها الأعزاء.

في البداية، كان والدا وين سعيدين بلقائها بجايمس، كونه اكبر سناً وبالتالي أنضج وأعقل، يدرك براءتها في مثل هذا السن المبكر، أو لنقل هذا ما قالته لها والدتها وما تعتقده.

قد تكون وين بريئة وساذجة، ولكنها وقعت في شباك

الحب، ولم تستطع أبداً أن تخفي مشاعرها عن جايمس. فلقد تعلقت به وظهر عليها الفرح والابتهاج كفرح الطفل بلعبته الجديدة، وكيف لا تتصرف هكذا وهي التي كان يشعرها اشقاؤها دائماً بأنها ما زالت صغيرة السن ولن تكبر أبداً، وستظل بحاجة إلى حمايتهم ورعايتهم.

تعلقت بجايمس بكل احاسيسها وبكل خلجة من اختلاجات قلبها، ورمت بأسلحة المرأة أمامه مستسلمة لارادته ولمشاعره هو دون أي مراعاة لمشاعرها، واصطدمت بحقيقة واحدة، وهي أنها باتت لا يمكنها الاستغناء عنه ولا لأي سبب من الأسباب.

أرادته بعنف وقوة لدرجة انه لا شيء كان يثير اهتمامها في هذه الدنيا سواه، وبالأخص انها لم تكن لديها خبرة سابقة في مثل هذه الأمور لتحميها. وكل ما كانت تدركة من شدة سذاجتها أنها طالما تريده يجب عليها أن تحبه وتحبه وبقوة.

ولم يساعدها احد ممن كانوا حولها على كشف الحقيقة بأن ما تقوم به، لهو عمل طائش يدل على عدم خبرتها في هذا المضمار. وكم بكت بحرقة وألم عندما لمّحت لها والدتها ذات مرة بأن ما تشعر به تجاه جايمس ليس سوى تعلق باطل وان الوقوع في حب شخص ما، لا يعني أنها فازت بالحب نفسه، وأنها ما زالت صغيرة لتعرف حقيقة مشاعرها وتتعلق بشخص لا تعرفه سوى من اشهر قليلة.

كانت وقتها قد تجاوزت سن الثامنة عشرة، ولم يكن بمقدور والديها أن يمنعاها عن الزواج، وهذا ما أشارت به اليهما وقتها متحدية.

حتى عندما ناداها والدها سائلاً إياها بغضب: «وماذا بشأن دراستك الجامعية؟ وماذا عن مستقبلك؟»

كان جوابها: «جايمس هو مستقبلي.»

حتى ان جايمس اقترح عليها التمهل وأنه من الأفضل عليهما التريث، لكنها انفجرت بالبكاء والنحيب متهمة اياه بأنه لا يريدها، فأخذ يطيب خاطرها ويواسيها فازدادت تعلقاً به، رافضة الابتعاد عنه.

كان جايمس قد اتفق معها على ألاّ ينجبا اطفالاً في سنتهما الزوجية الأولى، ووافقته على ذلك. إلا انه وبعد مضي أشهر قليلة على زواجهما، فوجيء بها تخبره أنها حامل. صدم للأمر وغضب بشدة وانقلبت حياتهما معاً بعد ذلك إلى وضع سيء ومشاكل جمة، وأصبحت الحياة بينهما لا تطاق.

ثم قال لها عندما لاحظ تبدل ملامح وجهها بصوت حزين: «انك ما زلت صغيرة السن، وأحياناً اعتقد بأن والديك كانا على حق وأنه كان من الأفضل لنا الانتظار. لكنني كنت اريدك بقوة...»

كانا قد ابتاعا بيتاً صغيراً خارج البلدة. وشعرت وين ولفترة صغيرة بأنها في قمة السعادة فقد كان جايمس طيباً لطيفاً ويحسن معاملتها.

كان يدللها بطرق مختلفة وكأنها طفلته وليست زوجته، وكم كان يضحك لها بعطف وحنان عندما تحرق له طعامه، فيضطر إلى ان يكوي قمصانه كي لا تحرقها ايضاً. وعندما تتورد خداها من الخجل من نفسها، كانت تسأله إن كان نادماً على زواجه منها، فيقول لها بأنه لم يتزوجها لأجل مهارتها في التدبير المنزلي.

وكان قد همس في أذنها: «لا تنسي أنك ستلتحقين بالجامعة بعد اشهر قليلة ولن يكون لديك متسع من الوقت لتطبخي لي الطعام أو لتكوي قمصاني.»

هذه كانت نقطة الخلاف بينهما، لأن وين كانت سعيدة لأنها أصبحت زوجته وانه اهتمامها الوحيد في هذه الدنيا ولا شيء غير ذلك، ولكنه أصر على موقفه بينما هي رفضت العودة إلى الجامعة وفضلت ان تحصر اهتمامها فقط في حياتها الزوجية.

قالت له ذات يوم: «لماذا احتاج إلى دراسة جامعية الآن؟ فأنا لا أريد العمل في أية مهنة، فقط أريدك أنت وأولادنا.»

نظر جايمس اليها قائلاً بجدية: «انك صغيرة يا وين، ولا تدركين ماذا تقولين، لكن في يوم من الأيام سوف...»

تناقشا في هذا الموضوع كثيراً، ولكنه اصر على موقفه، وأصيبت بعد ذلك بالانفلونزا بينما كانت حاملاً بشارلي.

هل كان سبب الطلاق لأنها أخفت عنه حقيقة حملها عن تعمد وسابق قصد؟

لكنها وعندما اطلعته أخيراً بذلك، تلقي الخبر في البداية بصدمة وغضب شديدين فرأته ومن خلال دموعها المنهمرة يذرع أرض غرفة الجلوس جيئة وذهاباً كأسد مسجون في قفص ليقول اخيراً: «لقد تسرعت بذلك يا وين. اننا بالكاد نعرف بعضنا البعض.»

واكتشفت مع مرور الأيام كم أنها فعلاً لم تتعرف اليه جيداً.

فقد ترك عمله في البلدة ليلتحق بعمل آخر في المدينة، حتى أصبحت لا تراه الا نادراً.

أما من ناحية والديها عندما التجأت إليهما تشكو وحدتها وتستدر عطفهما، وجدتهما يؤيدان فكرة جايمس بأن قرار حملها كان متسرعاً، وكان يجب أن تتجنبه وتمنع وقوعه خاصة في الوقت المبكر من زواجهما.

«بالطبع، لن أتمكن من الالتحاق بالجامعة الآن.» هذا ما قالته لجايمس وارتجفت عندما لاحظت نظرته، كأنه كان يتهمها بأنها فعلت ذلك عن قصد كي لا تلتحق بالجامعة كما طلب منها.

وبدأت مشاكلهما الأولى في علاقتهما...

وفي احدى الامسيات جاءها جايمس ليقول لها بأنهما سيشاركان في مناسبة خاصة في الشركة التي يعمل لديها، كانت حينها في شهرها السابع وتشعر طوال الوقت بعدم الراحة، ربما لأنها كانت قصيرة القامة، وبحملها بدت أضخم مما هي عليه.

كانت وين وقتها في أشد حالات السخط والغضب منه لعدم ترحيبه بطفلهما الأول، وعندما حاول ان يقترب منها نفرت منه وابعدته عنها، ولم يحاول بعد ذلك ثانية، فآلمها ذلك وعذبها. لكن كرامتها منعتها من ان تجد الكلمات المناسبة لتقول له بما تشعر به. واعتقدت وبأسى ويأس شديدين بأنه لن يتقرب منها بعد الآن بسبب حملها وضخامتها.

ولاحظت في احدى الحفلات الراقصة التي تقيمها شركته سنوياً، الطريقة التي تنظر بها إليه تارا سيمونز، والطريقة التي تقف بها قريبة منه، ثم بالطريقة المتعمّدة التي تبعد بها وين عن الحديث، وبالطريقة الخبيثة في احباطها عندما

تتحدث عن مؤهلاتها. فتحدث جايمس بذكاء ومهارة عن عمل تارا، وهو موضوع ابعد وين عن مشاركتها به كلياً، لأنها لا تعرف ولا تفقه أي شيء في حقل الالكترونيات

ففهمت وين بإحساس المرأة الذي لا يخطىء، بأن تارا تريد جايمس، كما أنها أدركت وبالرغم من انكار ونفي جايمس بأنه كان يجدها جذابة. وكيف لا يجدها كذلك؟ فتارا فتاة طويلة القامة ذات شعر احمر، وعيناها خضراوان واسعتان وفي غاية الجاذبية والأنوثة، حتى ان وين يمكنها أن تلمس ذلك.

اتسعت رقعة الاختلاف بينهما وكبرت، وأصبح جايمس ينام في الغرفة الاضافية كي لا يزعجها، أو هذا ما أدعاه عندما تمكنت من مواجهته بالسؤال عن ذلك.

أتت والدتها لزيارتها دون أن تتوقع مجيئها، وكان ذلك يوم السبت، وجايمس غير موجود مدعياً أنه مضطر للذهاب إلى المكتب، فاتصلت وين بالمكتب عندما لاحظت بأنه لم يقل لها متى سيعود، لكنها أعادت سماعة الهاتف إلى مكانها عندما جاءها صوت تارا عبر الاسلاك الهاتفية وهي تشعر بالنار تتأجج في صدرها.

سألتها والدتها بقلق حالما فتحت وين لها الباب: «وين، يا عزيزتي، هل أنت بخير؟»

ورأت وين فجأة حقيقة مظهرها من النظرة التي تلقتها من والدتها. فقد وجدت ابنتها منكوشة ومتسخة الشعر، وثيابها ايضاً متسخة وغير مكوية، وغير معتنية بوجهها تلهث بسبب حملها.

ازداد تجهم وجه الوالدة عندما وجدت حالة الفوضى في

غرفة الجلوس واكوام الثياب التي تحتاج إلى الغسيل، والأطباق والطناجر المتسخة والمكدسة في المطبخ.

وباختصار كان البيت وابنتها في حالة تثير الذعر والقرف في النفوس. والسبب في كل ذلك، ان وين كانت تشعر دائماً بالتعب من حملها. لكن وعلى اية حال ما همها حالة البيت طالما أن جايمس غائب عنه دائماً؟ فنادراً ما يكون جايمس فيه، واذا صادف ووجد فيه، كان يبدو لها بأنه يفضل ألاّ يكون معها. لقد لاحظت الطريقة التي كان ينظر فيها اليها في بعض الأحيان، عابساً في وجهها وكأنه لا يعرفها، فبدون شك انه يتساءل في نفسه: لماذا تسرّعتُ وتزوجتها!

فمن دون شك كان يفضل الزواج بفتاة مثل تارا التي بدهائها وذكائها كانت قد أجلت الحمل في الوقت الحاضر لو كانت مكانها. انها تشبهه في كل الأمور ومتخرجة مثله من الجامعة ولديها مهنة تعتز بها. على أية حال، كانت وين ستلتحق بالجامعة هي ايضاً لو أنها لم تلتق به.

لقد التقت بزميلتين لها من زملاء المدرسة منذ بضعة أيام، فدهشتا وأشفقتا عليها عندما وجدتا أنها حامل.

وبمساعدة والدتها، تمكنت من اعادة تنظيم وترتيب البيت ومن غسل شعرها. وأظهرت رغبتها في أن تقصه قصة قصيرة، ولكنها تذكرت بأن جايمس قال لها مرة بأنه يحبه طويلاً وكثيفاً.

ترقرقت الدموع في عينيها وتساءلت عمّا حل بهما، وبحبهما؟

وفي الساعة الرابعة بعد الظهر، عاد جايمس إلى البيت،

فرأت وين الارتياح والسعادة في عينيه عندما وجد النظافة والترتيب فيه، وبالأخص أنها قد غسلت شعرها، فتقدم منها ووضع يديه على كتفيها، فعبقت رئتاها برائحة عطر نسائي فاحت منه. انها ليست بالمرة الأولى التي تشم بها ذلك العطر، كما انها كانت تؤكد ايضاً انها قد نقلت عن تارا.

دفعته عنها بقوة، وقد توردت وجنتاها ألماً وغضباً بينما أخذت تصرخ في وجهه: «لا تلمسني! لا أريدك أن تلمسني!»

وبعد أقل من شهر من ذلك الحادث، حان موعد الولادة وانجبت شارلي، بينما كان جايمس بعيداً عنها مع تارا.

لم ير جايمس شارلي الا بعد أن أصبح عمره يوماً كاملاً، ولن تنسى وين كيف نظر إلى الطفل وهو مقطب الوجه عاقد الحاجبين، واذا صح التعبير لم يرغب في النظر إليه ولا في أن يحمله بين يديه، ثم أسرع بالخروج عندما حان الوقت لاطعامه.

تألمت وين كثيراً من معاملته الشاذة. لقد انتظرت منه أن يظهر لها ذرة عطف وحنان، وكم تمنت لو انه يؤكد لها بأنه لا يزال يحبها وسوف يحب طفلها، ولكنه لم يبادر بشيء من ذلك.

أرادت أن تترك شارلي في سريره الصغير في غرفتهما، لكن جايمس أصر على أن يترك في غرفته الخاصة. وعندما أصيب شارلي بمرض شديد في امعائه، أخذت تصرخ في وجهه تلومه بأن ذلك بسببه، فلو سمح بابقائه إلى جانبها في نفس الغرفة لما أصابه مثل هذا المرض.

لكنها أدركت بعد أن نطقت بهذا الكلام، وكان قد فات

الأوان على الندم عليه، انها كانت غير عادلة في تصرفها، ولكن ومع ذلك ما الذي كان قد تغير لو أنها لم تفعل ذلك؟ فجايمس لم يعد يحبها، وهي متأكدة من ذلك.

وتأكيداً على ذلك، لم يعد جايمس إلى البيت ولا ليلة بعد ستة أشهر من تلك الحادثة.

وفي صباح أحد الأيام، رن جرس الهاتف، وتعرفت وين حالاً على صوت المتصلة، وكانت تارا تتكلم بصوت دافىء وناعم.

«اذا كنت قلقة على جايمس، فاطمأني بأنه لا داعي لذلك. لقد امضى ليلة البارحة معي. لا شك انك تفهمين ماذا أعني، أليس كذلك يا وين؟»

أعادت وين سماعة الهاتف إلى مكانها دون أن تتفوه بكلمة واحدة، وقد شعرت بالألم يسحقها، بينما أخذ قلبها يتألم بشدة لم يصبها من قبل في حياتها. انها وبيديها الاثنتين وضعت جايمس في زورق واقصته عنها إلى أبعد المحيطات. فأخذت الدموع تنهمر بغزارة على خديها، ولما عاد جايمس إلى البيت طلبت منه الطلاق.

حاول أن يناقشها في هذا الأمر، لكنها رفضت أن تصغي إلى كلمة واحدة، يتفوه بها، حتى انها لم تذكر له شيئاً عن علاقته بتارا، لأن كرامتها كانت تحول بينها وبين البوح بذلك، فكرامتها عزيزة عليها كما حزنها وألمها إلى ما آلت إليه الأمور.

لقد ادركت من نبرة صوت تارا عبر أسلاك الهاتف، كم كانت هي هائمة به، وبشكل كبير، الشيء الذي دعاها إلى عدم التساهل في موقفها في طلب الطلاق منه.

وافق والداها على قرارها هذا، ولكنهما أشارا إليها أن شارلي يحتاج إلى الرعاية والاهتمام، ولذلك عليها ان تفكر ملياً في قرارها. ولكنها تصلبت في موقفها طالبة أن يخرج جايمس من البيت وعدم رؤيته من جديد.

مرّت طائرة في الجو جعل هديرها تستفيق من ذكرياتها المؤلمة، فتحركت منزعجة في مقعد سيارتها. إنها ومنذ فترة طويلة لم تسمح لنفسها بالغوص في حياتها الماضية، أو حتى أن تفكر بها بهذا العمق. وكانت عادة كلما تذكرت أي شيء منها، تعيدها بقسوة إلى ماضيها الحزين، فتقصيها وتبعدها وتشغل نفسها بأمور أخرى. والآن وكامرأة ناضجة وبعد أن كان ما كان، ادركت كم كانت ساذجة وعديمة الوعي والتفهم، كم كانت مدللة وأنانية بطرق شتى.

تجهم وجهها أكثر وهي تستعرض بالذكرى حياتها في مستهل انطلاقها تقارنها بالنضج والمعرفة التي اكتسبتها في السنوات المنصرمة.

لقد كان والدها على حق بخصوص زواجها أولاً ومن ثم أمومتها. الآن، وعلى سبيل المثال فهي لن تقبل على نفسها في ألاّ تسأل زوجها عن الساعات التي يقضيها في عمله والتي كان يخدعها بها، كذلك لا تقبل في أن تتصرف بمثل تلك الطريقة الطفولية وقصر النظر، ولا ان تقبل بان تقلل من قيمة شخصيتها فتهملها وتهمل بيتها، ولا ان تقبل في أن تفوت عليها الفرصة في بناء مستقبلها وحياتها.

كذلك ايضاً، لن تقبل في أن تنغمس كلياً في شؤون طفلها

الذي لم تتجاهل فقط والده، بل أنها تركته واقصته بعيداً عنها.

عادت تتململ وين بانزعاج في مقعد سيارتها، لتدرك أن أفعالها وتصرفاتها الشاذة هي التي فرقت وأدت إلى توسيع رقعة الخلاف بينهما.

في الواقع، لم يكن جايمس مستعداً لانجاب الأطفال، لذلك فانه رفض شارلي، وفي المقابل، اعتقدت وين بعد الذي جرى بينهما بأن كل ما كان يريده منها، وهو علاقة الزوج بزوجته حسياً لا أكثر من ذلك، ولهذا السبب فقط أقنع نفسه بحبه لها.

على أية حال، مهما كان السبب الرئيسي لزواجهما، فقد انتهى الآن، وفي الواقع، لم يعد له أي وجود. فنوع العلاقة التي جمعت بينها وبين جايمس، لم تكن بالتأكيد ما تعيه وتدركه الآن، أو بالأحرى نوع العلاقة الحقيقية التي تريدها المرأة من الرجل.

لقد كانت ذليلة جداً في حبها، ومنغلقة جداً، وعاطفية جداً بنواحٍ عديدة، وهذا ما لن تكون عليه الآن. لقد غيرتها الأمومة ودفعتها لتضع كل ما يحتاجه الطفل فوق احتياجاتها.

وكونها الصغرى بين أفراد أسرتها، جعل من أشقائها بأن يعاملوها وكأنها حيوان أليف أكثر من كونها انسان بشري. تذكرت ذلك بألم واشمئزاز، فهذا خطأ وذنب، وبقدر ما هو ناجم عنهم، فهو ناجم كذلك عنها.

انهم لا يتصرفون معها الآن كذلك.

ابتسمت وين وقد تذكرت مدى دهشتهم عندما لاحظوا

الطريقة التي تبدلت فيها، بتحليلها الجديد، وادراكها ووعيها حقيقتها وحقيقة غيرها، وادعائها الهادىء والرصين في حقها في كسب احترامهم ومحبتهم لها. لا. انها لن تقع في نفس الأخطاء التي أوقعت نفسها فيها مع جايمس مرة أخرى.

مرة أخرى... ارتعش قلب وين بقوة. انها ولغاية الآن لم تجرؤ على اطلاع شارلي بأن توم قد تقدم منها رسمياً، حتى انها لم تقرر بعد إن كانت ستوافق على طلبه ام ترفضه.

انه يعجبها، وتعجبها طريقة اجتهاده ونجاحه في العمل، حتى ولو أنها وفي بعض الأحيان تجفل من تصرفاته، ولكنها لا تشك ابداً في حبه لها.

هل أحبته يا ترى؟

أخذت تنظر إلى السماء مفكرة، فمنذ ثلاثة أشهر وحيث كان شارلي متغيباً عن البيت في رحلة مدرسية، وجدت وهي بمفردها انه يصعب عليها أن تقوم بأية علاقة عاطفية مع توم.

فبالنسبة إليها، إنها المرة الأولى التي تميل بها إلى شخص آخر بعد جايمس، ربما لأنها الآن أكبر سناً وادراكاً ووعياً، ولم تعد تنظر إلى الحياة بمنظار مفروش بالورد والرياحين، فالتجربة التي مرت بها جعلتها قوية وشجاعة لتواجه اي طارىء قد يستجد عليها في المستقل.

أما من ناحية توم، فقد كان متفهما، ومهتماً بكل شيء، ومن المؤكد أنه ذو خبرة واسعة في شؤون الحياة. إنها لم تتوقع منذ أن افترقت عن جايمس بأن الحب سيطرق قلبها من جديد، وبأن مشاعرها ستتحول إلى شخص آخر.

أدارت محرك السيارة، وفي رأسها سؤال واحد، اذا وافقت وتزوجت من توم، فهل هذا سيؤثر على شارلي ويشده إلى العيش مع والده؟ لو أن توم فقط يقلل من قساوته نحو شارلي، ويتفهمه قليلاً، ولو أن شارلي لا يكون عدائياً في أغلب الأوقات فلا يذكر اسم جايمس كلما كان توم معهما.

ارتجفت مشاعرها عندما تذكرت تعليق توم الغاضب بأنه يشكر القدر على وجود جايمس في استراليا. ومما قاله لها ايضاً: «لو كان جايمس عظيما كما يظنه شارلي، فيا للعجب كيف أنك لم تعاودي الزواج منه.»

شعرت وين بأنها مجبرة بعاطفة الأمومة ان تقف موقف المدافع عن ابنها قائلة: «لكنه والد شارلي.»

وعندما حاولت أن توضح لشارلي قائلة انه ليس الصواب ذكر اسم جايمس كلما تواجد معهما توم، أجابها شارلي بعناد: «ولماذا لا أفعل ذلك؟ فهو والدي.»

المشكلة تكمن في ان شارلي اصبح يافعاً ويبدو عليه أنه يريد حمايتها تماماً كما كان يفعل اشقاؤها بها.

ولكنها الآن تعلمت مما فاتها ولن تكرر القصة نفسها، لذا فمهما كانت تحب ابنها الوحيد، فهي لن تسمح له بأن يتدخل في شؤون حياتها الخاصة، وبمن قد تختاره من أصدقاء حتى لو انهم لم يعجبوه. كما أن ذلك سيكون درساً مفيداً له بالذات وللإنسانة التي سوف يختارها في يوم من الأيام لتكون شريكة حياته.

لكن ومع كل ذلك كانت تجد أنها ليست بالمسألة السهلة لتجعله يوافق على حقها في اختيار توم صديقاً لها، أوان يقبل به زوجاً لها وأباً ثانياً له.

وعندما انطلقت بسيارتها، تناهى الى سمعها ساعة البلدة تعلن الوقت. لقد كان شارلي يمضي فترة بعد الظهر في منزل صديق له لمشاهدة لعبة كرة القدم معاً على شاشة التلفاز، ويبدو أن والد صديقه سوف يعيده إلى البيت.

ولما أرادت أن تتأكد من ذلك، ثار غضبه وهو يذكرها بأنه أصبح مسؤولاً عن نفسه ولم يعد طفلاً.

كانت ما زالت تسكن في البيت الذي اشتراه جايمس عندما تزوجا. وهذا البيت يشبه عدة بيوت اخرى ويشرف من الخلف على حقول خضراء مترامية الأطراف، وكذلك له حديقة لا بأس بها. وفي السنة الماضية، دهنت بمساعدة شارلي البناء الخارجي، عمل لم يفرح كليهما به، ولكن وين شعرت بأنهما أجاداه اجادة تامة.

تضايق توم وقتها من ذلك. انه باستطاعته ان يرسل اليها أحد عماله ليقوم بمثل هذا العمل، لكن وين رفضت، ذلك لأنها كانت قد تعلمت بأن تكون مستقلة بكل أمورها، فقد تغيرت عن تلك الأيام التي تعودت فيها ان تعتمد وتتكل على الآخرين لدرجة انها كانت تسمح لهم باتخاذ قراراتها.

كانت هناك سيارة متوقفة أمام بيتها وتدل من مظهرها الجميل أنها من النوع الباهظ الثمن، فاضطرت الى الوقوف وراءها.

كان شارلي يملك مفتاحه الخاص للبيت. من المؤكد ان والد صديقه قد أوصله وقد دعاه شارلي إلى الدخول وذلك من باب الأدب، فعليها الآن ان تعتذر لتأخرها، وتمنت ألاّ يحكم عليها والد الصديق بالأم الغير مثالية، إذ كيف تسمح بأن يعود ابنها إلى البيت وهي غير موجودة.

كانت قبل الآن تجد انه من الصعب عليها أن تخفف من وطأة الذنب الذي شعرت به في البداية عند استلامها عملها الجديد، لكن هيزر وبختها على طريقة تفكيرها هذا.

ومما قالته لها: «يمكن لشارلي ان يأتي إلى بيتنا لساعتين من الزمن اذا دعت الحاجة، فأنت تعلمين انك بحاجة لهذا العمل يا وين ليس فقط من اجل المال، بل لنفسك وذاتك أيضاً. لقد نذرت نفسك ووهبت كل طاقاتك من اجل شارلي عندما كان في أمس الحاجة إلى ذلك، وتذكري انه بعد سنوات قليلة سيرحل ويبتعد عنك.»

ومع أنها كانت تدرك حقيقة تلميحات هيزر، ومع أنها كانت تدرك ايضاً بأنها وشارلي قد استفادا من الاستقلالية التي منحتهما إياها هذه الوظيفة، كانت وين ما زالت تشعر بالذنب الشديد.

تمكنت من سماع صوت التلفاز عندما دخلت ردهة البيت، وكان باب غرفة الجلوس مفتوحاً، ومن خلاله تمكنت من سماع صراخ شارلي المبتهج.

«هكذا يكون اللعب! هل شاهدت ذلك يا أبي؟ هل شاهدت كيف رفس الطابة إلى الهدف؟»

أبي!

تجمد الدم في عروق وين، وكأنها أصيبت بشلل تام، وتلك الصراخات المتلاحقة في داخلها توقفت وهدأت.

«انه بالفعل يتمتع بمهارة نادرة.»

انها لم تسمعه يتكلم لأكثر من عشر سنوات، ولكنها كان بامكانها ان تتعرف الى صوته من بين المئات... لا بل من بين الألوف. صوت عميق مؤثر، بكلمات حازمة ومعدودة،

لكن ليس من أثر للكنة الاسترالية، وبنفس النبرة المعسولة التي كلمها بها ذات مرة عندما قال لها كم وكم يريدها، وكم يحبها.

انه نفس الصوت الذي جاءها بارداً وقاسياً عندما اتهمها بالحمل الذي يرفضه.

تمالكت أعصابها من قساوة الصدمة لمجيئه المفاجيء، وأخذت نفساً عيمقاً، ثم دفعت باب غرفة الجلوس ودخلت اليها.

الفصل الثالث

لقد تعلمت وين من خلال تجاربها السابقة كيف انه من المهم جداً ان تحافظ على رباطة جأشها في مواجهة المصاعب التي قد تفاجئها.

ودون ان تنظر إلى شارلي وجهت كلامها إلى جايمس ببرودة: «ماذا تفعل هنا يا جايمس؟»

رأت ومن زاوية عينها الدم الذي تدفق في وجه شارلي، الذي بدا قلقاً وحزيناً، ولكنها اجبرت نفسها على تجاهل ما رأت، وركزت كل انتباهها على الرجل الذي اخذ يتململ في مقعده ومن ثم وقف امامها.

كانت تفضل لو انه بقي جالساً في مكانه، وتمالكت نفسها في عدم الرجوع خطوة واحدة إلى الوراء، لذا تسمرت في مكانها كأنها تمثال حجري يتحدى الزمان جيلاً بعد جيل. ونظرت إليه مباشرة بحقد وعداء لم تستطع اخفاءهما.

شاهدته ينظر نظرة خاطفة في اتجاه شارلي، فتضاعف حقدها وعداؤها، وتعجبت كيف يجرؤ على الاستعانة بابنهما كوسيط بينهما. كيف يجرؤ وفي المرتبة الأولى ان يكون داخل بيتها؟ ولماذا جاء إلى هنا؟ ومن غير المعقول ان يكون قد علم مسبقاً بأنها غير موجودة، الا اذا...

تصلبت وين في وقفتها تقاوم الرغبة في ان تستدير وتنظر إلى شارلي نظرة ذات معنى، فقد أدركت بسبب ارتباكه انه مذنب في حقها.

www.elromancia.com

هل كذب شارلي عليها بخصوص الموعد الذي يربطه بصديقه بعد ظهر هذا اليوم؟ هل كان يعرف مسبقاً بمجيء والده، فاتفقا على اللقاء هنا؟ هذا ما اخذت تسأل به نفسها وهي غير مصدقة.

تقدم شارلي ليقف إلى جانبها قبل ان يتمكن جايمس بالتفوه بأي كلمة واحدة.

قال لها شارلي: «قلت في نفسي انه بامكانه المجيء إلى هنا. على كل حال، هذا بيتي أيضاً وهو ابي.» كان يتكلم بنوع من التحدي، لكن بالرغم من كل هذا التحدي، كان اقرب إلى البكاء منه إلى الشجاعة. فتمالكت اعصابها كعادتها.

قررت انها ستتكلم معه لاحقاً فيما اذا كان هذا بيته أم لا، وبأنه قد اخطأ بالتفوه بهذا، ولكنها لن تعرضه للإحراج الآن امام جايمس. قالت بكل بساطة: «هذا بيتك أيضاً يا شارلي.»

لاحظت وبعد ان حولت نظرها إلى جايمس بأن هذا الأخير كان ينظر إليها بامعان يتفحصها وهو مقطب الجبين. فكرت بألم سحيق انه ربما كان يتساءل ما الذي أعجبه فيها. انها وبالتأكيد ليست بمستوى تارا المثقفة، فتساءلت ماذا حل بتلك المرأة يا ترى؟

لم يتزوج جايمس بعدها. وحتى لو انه كان يوجد امرأة في حياته، لكان عرّفها على شارلي عندما سافر إليه ليمضي اجازته معه.

اعتذر جايمس بإيجاز: «آسف. لم اكن اعلم بأنك لست على علم بموعد عودتي.»

اجابت ببرودة: «كنت اعلم بأمر عودتك إلى هذه المنطقة، ولكن لم اكن اتوقع بأنني سأعود إلى البيت لأجدك في غرفة جلوسي.»

ضغطت على الأحرف الأخيرة من لفظها لكلمة (جلوسي)، وشعرت برضى تام وسعادة عندما لاحظت التبدل في ملامح وجهه. اذاً فانه يتأثر ويدرك متى يكون مذنباً خاصة عندما يستغل الظروف لصالحه حتى ولو على حساب غيره. عظيم.

ثم تابعت برقة: «حسناً. لن نؤخرك، فانا متأكدة بأنه لديك اعمال مهمة.»

لم تفوتها النظرة التي تبادلاها الأب والابن، فشعرت بقشعريرة باردة تسري في عروقها.

ثم اعلن شارلي بنوع من الثورة والتحدي: «سينتقل ابي للسكن هنا بيننا، وقد قلت له انه لا عليك من ذلك.»

شعرت وين وابنها يفاجئها بهذا الخبر انها سيغمى عليها، وقد ادركت ان ابنها تجاوز كل الحدود هذه المرة.

وسمعت جايمس وهي على هذه الحالة المروعة يقول: «آسف. اعتقدت انك كنت تعلمين. في الواقع...» توقف عن الكلام فجأة، بينما كانت وين تنظر إلى ابنها غير مصدقة.

كان شارلي يعلم ان آخر ما تتمناه والدته في هذه الدنيا، ان يعيش جايمس معهما تحت سقف واحد، وآخر ما كانت تتوقعه ان يخدعها هو بهذه الطريقة المتعمدة.

ولكنها ولو كانت تشعر بالغضب من تصرف شارلي، فإن هذا لا يساوي شيئاً من المرارة والحقد على جايمس نفسه، ولا بد ان جايمس ادرك الآن كذبة شارلي عندما ألمح له بأن والدته لن تمانع دخوله.

نعم، من المؤكد انه ادرك ذلك، فذكاؤه الشديد لن يدعه في ان تمر عليه مثل هذه الكذبة.

قالت بعد ان اخذت نفساً عميقاً: «اذا كانت هذه مزحة يا جايمس...»

فقاطعها جايمس قائلاً: «ليس لدي علم بذلك.»

«حسناً. من المستحيل ومن غير الممكن ان تبقى هنا.»

قال شارلي: «ولماذا لا يمكنه؟»

التفتت وين نحو ابنها وقالت: «شارلي. انك تعرف حقاً لماذا لا يمكنه. اننا مطلقان، هو... وانا...»

«حسناً. ولكن هذا لا يعني بأنه ليس بأبي، وانك تريدين الزواج من شخص آخر.»

شعرت وين بالخيبة واليأس تغمران قلبها، فهي لم تتكلم بخصوص توم مع شارلي بعد، حتى أنها متأكدة بأن لا علم لشارلي بتفكيرها بالزواج من توم، ومع ذلك ها هو يتهمها ويقف امامها متحدياً ويقول امام جايمس بأنه يرفض والداً جديداً.

وتابع شارلي يقول بالحاح وعناد: «اريد ان يعيش والدي معي هنا. ففي كل الأحوال، هذا بيتي أيضاً.»

«وبيتي انا أيضاً.»

نطقت بكلماتها تلك بصوت منخفض وناعم لم يسمعها احد سواها. ثم ادارت برأسها ببطء من ابنها إلى زوجها السابق، واخذ قلبها يخفق بشدة لهذه الصدمة. ماذا كان يريد جايمس ان يقول؟ وما نوع التهديد الذي يهددها به؟ أو هل انه يريدها ان تخرج هي من البيت ليعيش وحده مع شارلي؟

شعرت بالخوف والوجل وبالانهيار التام لهذه التساؤلات التي اخذت تتضارب بعنف في رأسها.

اهذا ما حيك من ورائها؟ خدعة ماكرة وخبيثة تقوي وتعزز الحق بنصيب جايمس في البيت؟ انها خطة مدبرة توقع الخلاف بينها وبين شارلي، وعندها يدفعها جايمس للخروج من حياة ابنها، وستجد نفسها مجبرة على الانتقال إلى العيش في احدى غرف فندق توم وهذا ليس بالأمر السهل عليها. نعم هذا ما ينوي جايمس ان يفعله وهذا ما سيحدث.

علاقتها مع شارلي تمر في مرحلة دقيقة جداً، فالرجل الذي يطالب به ليعيش معه، يكون والده... ربما أراد معاقبتها لأنه يكره ويشمئز من العلاقة التي تربطها بتوم، أو ربما لأنه في سن يحتاج فيه لأن يكون قريباً من والده. وضاعت في تساؤلاتها، ولم تجد فيها مخرجاً واحداً. على أية حال، السبب الحقيقي لا يهم ولا بشكل من الاشكال. انما الذي يهم فعلاً، ألاّ تسمح لعواطفها ان تضعف وتنهار فتوقعها في مشاكل قد تندم عليها آجلاً.

قالت بعد ذلك بهدوء وضعف: «لا اصدق بأنك تريد البقاء هنا يا جايمس.»

اجابها جايمس مشيراً إلى ولده: «لا؟ ولكن ابني يعيش هنا. ولهذا السبب، قررت ان امضي معه بعض الوقت وهذا سبب عودتي.»

أمسكت وين بظهر الكرسي لتحمي نفسها من السقوط، وهي تنتفض وترتجف من عوامل شتى، ومن خوفها الشديد، اكتشفت بأنها قريبة بأن تفعل شيئاً لم تقم به منذ عشر سنوات، ألا وهو النحيب والبكاء.

ولكنها تراجعت عن ذلك لأنه ليس بالوقت المناسب، وليس امام هذا الرجل. فأخذت نفساً عميقاً وقالت له وكأنها تدينه: «أرجو أن لا تعتقد بأنني لم ادرك ما تنوي فعله يا جايمس، ولكنك لا ولن تفوز وتنفذ بما تفكر به.»

ثم حولت نظرها إلى شارلي وقالت بشيء من السخرية: «حسناً يا شارلي. انت تريد ان تستضيف والدك، فعليك ان ترشده إلى الغرفة الاضافية في الطابق الأعلى.»

قال جايمس بنبرة ساخرة: «سبق لي معرفتها. انها الغرفة التي كانت يوماً خاصة بنا نحن الاثنين على ما اعتقد. كنت اعيش في هذا البيت، هل نسيت؟ وبالاضافة... لقد سبق لي ولشارلي ان نقلنا حوائجي اليها، اليس كذلك يا بني؟»

اضطرت وين ان تشيح بوجهها عنه كي لا تخونها عواطفها.

ثم قال شارلي فجأة: «أمي... أشعر بالجوع.»

تساءلت وين وقد شعرت باليأس الشديد، كيف يمكنها ان تتفادى الصدمة المفاجئة ليس فقط لوجود زوجها السابق هذا في هذا البيت، بل لقراره في الانتقال إليه وقد عقد النية انه منزله، وحتى كيف ستتمكن في الاهتمام بتحضير وجبة طعام له.

تمنت لو ان بامكانها ان تخرج من هذا البيت وتهيم على وجهها في الأرض لكان ذلك اهون واخف عذاباً عليها، ولكن هل يمكنها ان تنفذ ذلك؟ انها حتى لا يمكنها ان تقفل عليها باب غرفتها دون ان يلاحقها شارلي باسئلته عما تفعله في الداخل، ومن دون شك سيفهم جايمس كم هي ضعيفة ولا تقدر ان تتحكم بمشاعرها.

من المؤكد انه يستطيع التحكم والسيطرة عليها. منذ متى ابتدأ يخطط بذلك مع شارلي يا ترى؟ يعلّمه ويتآمر معه على ان يعصي اوامرها، فيضللها ويكذب عليها؟

هذا ما كان يؤلمها ويحزنها اكثر من اي شيء آخر، ان يبدو والد شارلي أنه هو البطل والمحب، وانها قد قتلت الثقة والاحترام اللذين كانت تعتقدهما في الوالد والابن تجاهها، والذي دفع شارلي إلى خداعها وتضليلها، وادراكه بأنها لم تكن لتوافق على القبول بجايمس معهما فيما لو فاتحها في الموضوع.

وتركز غضبها ليس على شارلي فقط، بل على والده أيضاً. ما جنته يداه كان خطأ، لكن جايمس هو الأكبر والانضج، ولقد تعاون وتآمر مع ابنهما وجعله مخادعاً، لا بل شجعه في الكذب عليها. لقد تناسى وتجاهل مسؤولياته كلياً كوالد ناضج.

كيف سيقدر ويقبل بالصدق بعد الآن، بعد ان علمه والده على المراوغة والمخادعة.

انها تشعر الآن بجو خانق وبخيبة امل وبألم سحيق يقع على رأسها. فكم وكم حاولت ان توجه شارلي نحو القيم والمبادىء التي تحترمها وتؤمن بها والتي في غاية من الأهمية. ولم يكن الأمر بهذه السهولة. فقد كان شارلي يثور احياناً لكرامته كونه ذكراً، ولم يكن يرحب دائماً بمثاليات وين الصارمة، وبالأخص أنه الآن لم يعد صغيراً وقد اصبح اكبر سناً، مما سببت لها هذه الأمور مؤخراً انزعاجاً وعدم ارتياح وهي تراه يفضل ان يتابع نظرياته الخاصة، اكثر مما يصغي اليها.

لكنها عندما تباحثت بهذا الأمر مع صديقتها هيزر، اشارت عليها هذه الأخيرة ونصحتها بألاّ تقلق وتنزعج لهذه الأمور.

ومما قالته لها في محاولة لتهدئة هواجسها: «ان ابني داني يتصرف تماماً كما يتصرف ابنك وهذا ما يحدث عادة، وكذلك مع أولاد الآخرين... واعتقد انهم يلعبون معنا لعبة مافيا الصغار...»

سألتها وين وقتها: «أرجو ألاّ تفكري بأن ذلك يحصل لأن شارلي يعيش دون أب؟ ان كل ما اقوم به في هذه الأيام يبدو لي غير مناسباً يا هيزر. وأراه يفضل ان يصغي إلى اساتذته اكثر مني، لكونهم رجالاً، واكره طريقة ازدرائه لكل امرأة... وقد سألت نفسي ولمرات عديدة، هل انني وبطريقة ما، اوعزت إليه بالفكرة ان المرأة تعتبر في المرتبة الثانية بعد الرجل؟»

أجابتها يومها هيزر: «اعرف ماذا تقصدين. وكما قلت لك، ابني داني يتصرف بالمثل في الوقت الحاضر. ولقد ضبطه الأسبوع الماضي يقول لابنتي جيني، انه لن يساعدني بغسل الثياب بعد الآن، لأن هذا العمل من واجبات المرأة فقط... وما افهمه، انه يتصرف ويقول اشياء بحكمه صبياً سينمو ليصبح رجلاً. ولحسن الحظ أنها مرحلة استثنائية يمران بها وسيخرجان منها آجلاً. انني متأكدة ان داني سيتغير بتوجيهاتي أو بتوجيهات جيني.»

تظاهرت وين بالضحك، كأنها تحاول ان تقبل بتأكيدات صديقتها لها وبأن شارلي ينمو ويحاول ان يثبت رجولته.

قالت لها هيزر وهي تهم بالخروج: «اعرف ان هذه

المرحلة صعبة، وكم انهم يكبرون بسرعة... ولكن وبطريقة ما، فإن الصبيان الصغار عادة اكثر حباً بالاستقلالية من البنات الصغيرات... ولكنهم وبعد ذلك تجدينهم يتعاملون معك وكأنك عنصر غير مهم في هذه الحياة. صدقيني يا وين، المسألة ليست انك اخطأت أو لم تخطئي في تربيته. ولا يخفيك الأمر، لقد اشرت لزوجي ريك بأننا قد نستفيد في تغيير وضع داني، لو انه ساعدني في بعض الاعمال المنزلية.»

ما قالته هيزر زاد من مخاوفها وشكها بشكل ملحوظ، هذا ما توصلت وين إليه الآن. هل اذنبت لأنها منعت شارلي من حقوقه كصبي؟ وهل هي الملامة في ابتعاده عنها؟

لقد حاولت قصارى جهدها، وكانت هيزر خير معين لها، فكانت تضم شارلي إلى اولادها في نزهاتهم كي لا تجعله يشعر بالوحدة التي يشعر بها عادة من ليس له أخوة ولا أخوات.

ولقد كانت في راحة بال اكبر لو ساعدها الزمان وكان اشقاؤها واولادهم يعيشون قربها في نفس البلد وليسوا متوزعين في بلدان العالم، فإمكانيات وين المادية لا تسمح لها بالسفر اليهم من وقت لآخر.

مرة، ومنذ اعوام مضت، عندما كانت وين بحاجة إلى معطف، اعترضتها هيزر مؤنبة بأنها لو حاولت التخفيف عن شراء ملابس ثمينة لشارلي، لكانت تمكنت من شراء شيء لنفسها. واخبرتها وين بأنها تشتري ملابس شارلي من المال الذي يرسله لها والده، فكرامتها لا تسمح لها بأن تصرف قرشاً منه على نفسها، والمال الذي يبقى والذي لم

يصرف على شارلي، كانت تضعه في حساب خاص باسمه في المصرف.

«هل ستتناول الطعام معنا؟»

سألت جايمس فجأة، ولكنها حالا ندمت موبخة نفسها على ما فعلت. كان من الاجدر بها ان تتجاهله، وان تجعله بعيداً عن الإلفة والمودة في حياتها مع شارلي فبغباء شديد منها، جعلت الأمور اسهل بالنسبة له ليتجرأ ويقحم نفسه في حياتهما.

انها لم تكن ابداً على خطأ. فرجل بثراء جايمس، من الصعب عليه ان يقبل في ان يعيش في بيت كهذا، وفي منطقة كهذه، فهو من المؤكد قد تعود على الحياة المترفة في جناح احد الفنادق ذات المستوى الرفيع، ويقوم الخدم على خدمته اربع وعشرون ساعة. لكن، وعلى اية حال، لن يكون الأمر كذلك هنا.

وفي محاولة منها للتراجع عما قالته، تابعت تقول بعدم اهتمام: «يخال لي انك تفضل ان تتناول طعامك في الخارج، فلدي أنا وشارلي وجبات متواضعة، وهذا المساء بالأخص، سنتناول طعاماً بارداً. كما وانني ساخرج بعد ذلك.»

«صحيح؟ اذاً ارى من الأفضل ان آخذ شارلي لنتناول معاً طعام العشاء في أي مطعم.»

«لا!»

توردت وجنتاها من الغضب، وقد ادركت بأن رفضها جاء سريعاً و باندفاع شديد.

وتابعت تقول وباندفاع اكثر: «لا. ليس من الضروري ذلك.»

كان جايمس اثناء ذلك، ينظر اليها مباشرة، ولكن كبرياءها وعزة نفسها منعتاها من ان تشيح بنظرها عنه. ولاحظت نظراته الباردة، فادركت بغريزة المرأة انه يريد ان يحرجها ويضعفها ليوقعها في فخ مصيدته آملاً ان تستسلم له صاغرة.

بادلته النظرات بحذر شديد، فشعرت بكره ونفور. لقد نال منها بالرغم من كل سلاح تملكه لتوجهه ضده.

قالت في نفسها عندما توجهت إلى المطبخ، لقد تمكن من مفاجأتها وذلك بفضل شارلي، ولكن الحرب لم تنته بينهما بعد، وستدعه يعلم قريباً، بأنه ولا بطريقة من الطرق يمكنه ان يأخذ شارلي منها.

لكن هل اذا جردها من محبة شارلي ستتمكن من ايقافه؟

اخذت يدها ترتجف بينما كانت تحاول ان تفتح الثلاجة والدموع ترقرق في عينيها، ولكنها منعتها من التساقط على خديها، وحاولت ان تسيطر على عواطفها كي لا تنهار فجأة. انها لم تذرف الدموع منذ اليوم الذي سقط فيه شارلي عن دراجته. كان وقتها في الخامسة من عمره وقد سببت لها هذه الحادثة صدمة قاسية.

شعرت وقتها بالوحدة الأليمة والخوف الشديد. فقد كان والداها في ادنبرغ التي كانت قد ترعرعت فيها، وقد قررا الاستقرار هناك نهائياً مع الجدة واشقاؤها كانوا يعيشون مع عائلاتهم في مختلف بلدان العالم. كما ان هيزر وعائلتها، كانت بعيدة في اجازة، لذا لم يكن من احد إلى جانبها يأخذ عنها جزءاً من خوفها وقلقها على شارلي.

تماثل شارلي إلى الشفاء بعد ذلك وخفت وطأة الصدمة

عليها، خاصة وانه كان قد كسر ذراعه واصيب بجروح مختلفة في جسده. وكانت هذه هي المرة الأخيرة التي تستسلم فيها لليأس والخوف من وحدتها. وقررت ألاّ تتكل على الآخرين ولا ان تلجأ اليهم، أو تحملهم اعباءها، ومخاوفها من المشاكل التي قد تواجهها. ولقد علّمتها الأيام والتجارب بعد ذلك، انه اذا لم تجد احداً يحبها ويرعاها، يعني هذا أيضاً انها لن تجد احداً يؤذيها. لقد اذاها جايمس في الصميم، فكانت في احلك لحظاتها تتساءل فيما لو شفيت تماماً من صدمة عدم حبه لها أو لا.

هناك العديد من النساء يتصرفن على هذا النحو، فينجذبن نحو الرجل غير المناسب، ويغرقن في حبه ولا ينلن من ذلك سوى الألم والدموع الغزيرة. ولهذا السبب تأخذ الحذر الآن في التورط مع توم... أو لنقل هذا هو احد الأسباب لمخاوفها وحذرها.

والسبب الآخر، التنافر والعداء بين توم وشارلي. وعادت ترتجف يدها اكثر وهي تمسك بباب الثلاجة.

«هل يمكنني ان اساعدك بشيء؟»

هذا السؤال اللطيف والودود نزل كالصاعقة على رأسها. انها لم تسمع وقع خطوات جايمس بينما كان يدخل إلى المطبخ، وها هو يقف الآن وراءها تماماً فتسارعت دقات قلبها وجرى الدم ساخناً في عروقها.

«لا. شكراً. يمكنني تدبر الأمر بنفسي.» كان المطبخ ضيق المساحة، ولم ترد منه ان يكون في داخله معها. فشعرت باختناق في صدرها وبتوتر شديد وكأنها اصيبت بالانفلونزا.

سألها جايمس وهو يشير إلى الطاولة التي كانت على وشك ان تضع عليها الصحون والملاعق: «الا يساعدك شارلي عادة في مثل هذه الأمور؟»

لم تغب عنها نبرة الاستهجان في صوته، وكأنه يشير اليها بأنها لم تحسن تربية شارلي.

أجابته بغضب: «لشارلي حصته الخاصة في الاعمال المنزلية.» لكن والذي لم تستطع الاعتراف به امامه انه مؤخراً... ومن بعد استياء وغضب شارلي من علاقتها مع توم... بدأ شارلي يخفف من مساعدته لها في اعداد وجبات الطعام والتي كان يقوم بها سابقاً، حتى اصبح وبشكل ملحوظ عديم الترتيب والنظافة. وتذكرت الشجار الذي دار بينهما في الأسبوع الماضي عندما رفض ان يرتب سريره.

نادى شارلي باعلى صوته من غرفة الجلوس، مما جعلها ذلك تشعر بارتياح كبير.

«ابي... ابي. تعال وانظر إلى هذا.»

فتساءلت لماذا جايمس مايزال واقفاً وراءها لا يتزحزح من مكانه بالرغم من نداء شارلي له؟ لماذا هو في هذه الحالة من التردد؟ اليس هذا سبب وجوده هنا؟ ليستميل قلب شارلي إليه وليقصيه بعيداً عن حياتها؟

اسرعت تقول له: «شارلي يريدك.»

وافقها على الفور: «نعم. انه كذلك.»

لكنها ندمت على الملاحظة السخيفة التي قامت بها، لما سمعت نبرة الانتصار والسخرية في صوته. وكان من الافضل ألاّ تشعر بأنها تحتاج إلى شيء تظهره وتثبته له. عدا انه عليها في ان تثبت له بأن مكان شارلي هو هنا.

وبالرغم من افكارها المتضاربة والمؤلمة، اخذت تحضر وجبة الطعام بخفة، على العكس تماماً من بداية حياتها الزوجية مع جايمس، حيث كانت حتى لا تعرف كيف تسلق البيض أو تكوي القمصان. كانت تعد الدجاج بصلصة الطماطم الذي كان يحبه شارلي كثيراً، مع سلطة الخضار الطازجة فاظهرت خبرة في نظام التغذية العام. ووضعت خبز القمح الصافي في السلة، والذي اعتادت ان تأكله مع شارلي دون ان تمسح عليه الزبدة أو المربى. وسكبت كوباً من الحليب القليل الدسم لنفسها، وآخر غنياً بالدسم لشارلي، لتطمئن بأنه يأخذ حصته اللازمة من التغذية.

وكانت محظوظة لأن شارلي لم يكن شرهاً ونهماً يرمي نفسه على الطعام.

اعدت المثلجات للتحلية وبطعم الفريز المفضلة لدى شارلي، وكانت قد حضرتها بنفسها. نادت بينما كانت تضعها في الثلاجة وبأعلى صوتها: «العشاء جاهز يا شارلي. هيا اصعد إلى الطابق الأعلى واغسل يديك.»

لكنها فوجئت بهدوء تام.

اغلقت باب الثلاجة وتوجهت إلى غرفة الجلوس لتجد شارلي ممدداً على الأرض كما يفضل دائماً عندما يشاهد برامج التلفاز.

«شارلي. قلت ان العشاء قد اصبح جاهزاً.»

اجابها شارلي: «اريد ان اشاهد هذا.»

حولت وين نظرها إلى الشاشة، وهي متأكدة بأن البرنامج الذي يراه ليس على هذا القدر من الأهمية، ولكنه يريد ان يخالف اوامرها ويكون صعب المراس معها، ومن الطبيعي

أنه يمكنها وببساطة ان تطفىء جهاز التلفاز وتقول له بحزم انه لم يعلمها مسبقاً ان هناك برنامجاً يود مشاهدته، وبما انه هو الذي قال بانه جائع، عليه ان يؤجل مشاهدة بقية البرنامج، ولكنها ترددت في القيام بأي شيء امام جايمس.

شعرت وبيأس، انها ستواجه المزيد من المشاكل والتي سيصعب عليها حلها خاصة في وجود جايمس بينهما.

اما الشيء الأهم والرئيسي الذي كان يشغل بالها، هو كيف بإمكانها كامرأة ان تعيش مع زوجها السابق وتحت سقف واحد دون ان يرتعش فؤادها وتختلج احاسيسها وهي التي احبته وكان الرجل الأول في حياتها. واخذت تغالط نفسها وتحاول أن تبعد عن ذهنها هذه الأفكار، وكأنما تؤنبها بأنه آخر ما يجب ان يقلقها هو وجود جايمس قريباً منها.

وقفت عند باب غرفة الجلوس مترددة وهي تشعر بغضب من شارلي اكثر من ابيه الذي دخل على حياتهما يريد التسلط عليها. رأت جايمس يقف ويتوجه بهدوء إلى جهاز التلفاز ويطفئه.

ثم أمر ابنه بهدوء: «افعل ما تطلبه منك والدتك يا شارلي.»

فوجئت وين من تصرف جايمس الذي لم تتوقعه منه كما فوجيء شارلي.

ورأت شارلي يتحرك ببطء ويقف على قدميه وهو ينظر إلى جايمس، ثم اسرع يصعد إلى الطابق الأعلى، فقالت وين: «شكراً يا جايمس. ولكن لي القدرة في التداول مع شارلي دون اي تدخل منك.»

«أنا أكيد من ذلك.» وافقها على الفور وبلطف شديد، ولكنه تابع يقول وقد أخذ بالابتعاد عنها: «لكن ومع ذلك، يبدو ان شارلي يحتاج إلى بعض التوجيهات ليدرك اهمية الطاعة. أليس كذلك؟»

سألته بتحدٍ وهو يبتعد عنها: «إلى أين أنت ذاهب؟»

توقف ونظر إليها نظرة باردة بعكس نظراتها الحاقدة والغاضبة.

اجابها بسخرية: «إلى الطابق الأعلى. أليس هذا ما يجب ان يفعله الأهل الصالحون. ليس علينا ان نأمر الولد وننتظر منه الطاعة العمياء، بل ان نكون له امثولة في ذلك.»

وعندما عادت إلى المطبخ، ادركت انه انتصر عليها وللمرة الثانية.

تساءلت إلى متى ستبقى على هذه الحالة من الضغط النفسي والانفعال؟ خاصة انها بدأت تشعر بالتخاذل والاحباط اللذين قد يعيدان اليها مخاوفها وهواجسها السابقة.

«أمي، الدجاج لذيذ.»

لم تذق وين شيئاً من الطعام الذي امامها ورفعت نظرها عندما سمعت شارلي يبدي رأيه بالطعام الذي أعدته.

«هذه طريقة أمي الخاصة.» تابع شارلي يقول.

تساءلت وين عندما لاحظت الدهشة على وجه جايمس، أتراه تذكر الوجبات الغريبة التي كانت تحضرها له في السابق؟ وشعرت ولأول مرة منذ وصوله، بنوع من السعادة والانتصار عليه. لقد استطاعت ان تدهشه بما اعدته من الطعام البسيط، اذا، قد يكون هناك بعض الأمل في أن تخدعه

في اشياء اخرى. على اية حال، لا يسعها الآن سوى الانتظار، وعاجلاً ام آجلاً سيخطىء وتظهر حقيقته امام شارلي. وهل نسي انه هو الذي أبدى غضبه عندما علم بحملها ورفضه رفضاً قاطعاً؟ وهل نسي ساعة ولادة شارلي عندما كان منهمكاً في شؤونه الخاصة؟ وانه وبعد ذلك اخذ يتذمر من بكائه ورفض ان يدعه ينام معهما في نفس الغرفة واصفاً وجوده مسبباً للفوضى وعدم النظام؟

اجابت بعد ذلك بشيء من السخرية: «نعم، يسعدنا، أنا وشارلي، ان نجرب الوصفات الجديدة، اليس كذلك يا شارلي؟» لكنها تابعت دون ان تنتظر جواباً على سؤالها: «هل مازلت تعتقد بأنني مازلت لا اعرف كيف يسلق البيض؟»

«في الحقيقة، لم اعط لهذا الأمر اية اهمية.»

اجابها جايمس دون اكتراث، وكأنما يريد ان يقلل من اهميتها ومن اهمية كل الذي حققته في تلك السنوات منذ طلاقهما. وسمعته يضيف ومازالت كلماته الأخيرة تطن في اذنيها: «انما الذي لم يخطر ببالي، كونك تعملين، ان تملكي الوقت الكافي لاعداد الطعام... الاحظ انك تملكين فرناً كهربائياً.»

شعرت وين بالغضب الشديد يلهب انفاسها، ولكنها تمكنت من ان تتمالك نفسها، وتكبت رغبتها في ان تخرج من هذا المكان.

عادت من جديد تقاوم الخوف والذعر مما قد يصدر عن جايمس من تصرف أو قول، واجبرت نفسها على تجاهل ما علّق به. فالتفتت إلى شارلي تسأله فيما لو كان مايزال

يرغب بمشاهدة احد الافلام على الفيديو كما طلب منها سابقاً.

كيف تمكن جايمس من التلاعب بمشاعرها وعواطفها إلى هذه الدرجة؟ ولكنها لحسن الحظ ليست من الأشخاص الذين يفقدون اعصابهم واتزانهم بهذه السهولة. ومع ذلك وخلال بضع ساعات تمكن من اصابتها بسهم تلو السهم من تعليقاته السخيفة كانما يريد جرها إلى الشجار والجدل.

عليها ألاّ تسمح له بالوصول إلى هدفه. عليها ان تستغل ذكاءها وسرعة بديهتها وتبعد نفسها عن هدفه.

لم تستطع تناول المثلجات، بل اخذت تقذفه من جنب إلى جنب بالملعقة في الطبق، إلى ان ابعدته عنها كلياً.

وسمعت جايمس يقول لشارلي: «تعال يا بني نغسل كل هذه الأطباق، كي تعطي الفرصة لوالدتك لكي تستعد لسهرتها هذه الليلة.»

تعالى في تلك الاثناء رنين الهاتف فجأة، ونظرت وين إليه لحظة قبل ان تقرر التوجه إليه.

كان المتصل توم يريد ان يؤكد موعدهما لهذه الليلة.

شعرت بجفاف في حلقها وبتصلب شديد في اعضائها من هدوء شارلي وجايمس اللذين ما يزالان يجلسان إلى مائدة الطعام وكأنهما ينصتان إلى كلامها، ولكنها اجابت توم مؤكدة: «لا. لم انس. حسناً، سأكون جاهزة الساعة الثامنة.»

وعندما اعادت سماعة الهاتف إلى مكانها، التفتت لترى وجه شارلي العابس في وجهها، فاضطربت اشد الاضطراب من ذلك.

لكنها قالت اخيراً: «لقد كان هذا توم... وسنخرج سوياً هذه الليلة.»

تذكرت بعد ان انهت كلامها، انه عليها ان تتصل بهيزر لتلغي الموعد المقرر بينهما، اذ كانا قد اتفقا على ان ينام شارلي عندها هذه الليلة. وكيف لشارلي ان ينام خارج البيت هذه الليلة ووالده الحبيب والغالي معه.

شعرت بانهيار اكبر ويأس اشد من تلك السنوات بعد طلاقها. وتوجهت نحو الباب فهي مدركة كل الادراك باستياء وانزعاج شارلي من ناحية وبنظرات جايمس لها الباردة المتفحصة.

www.liilas-romancia.com

الفصل الرابع

همت وين بصعود السلالم إلى الطابق الأعلى للمنزل، عندما لمحت جايمس يتمشى في الردهة بعد أن أقفل باب غرفة الجلوس، وأخذ يحدق بها بقسوة ولوم.

ثم سألها بعنف: «أخبريني شيئاً يا وين، هل أنت معتادة في أن تتركي شارلي وحيداً لتلاقي صديقك؟»

الهجوم الذي بادرها به، كان غير متوقع، وغير عادل، حتى انها لم تتمكن لفترة ان تجيبه بكلمة واحدة. فاحتقن وجهها من الغضب وقد تسارعت دقات قلبها بشدة وكأنما يؤنبه على اتهامه لها. شعرت بألم في رأسها، ولما وضعت يدها على صدغها تتحسسه، وجدت يدها ترتجف ارتجافاً شديداً وكأنها أصيبت ببرد لاذع.

أجابته أخيراً بصوت أجش ومتوتر: «أنا لا أترك شارلي بمفرده ابداً.»

فقال جايمس ملمحاً: «لقد فعلت ذلك بعد ظهر هذا اليوم.»

أخذ رأسها يلف ويدور دوراناً متواصلاً وأفكارها وأحاسيسها في حالة اضطراب.

«كان من المفترض أن يكون في منزل صديقه.» ثم استدركت مؤنبة نفسها على ما فعلت، فقد سمحت لجايمس أن يجبرها على الوقوف موقف الدفاع عن نفسها. لماذا لا تقول له وبكل بساطة، أنه لو لم يعلّم شارلي على الخداع والمراوغة، لما كان وجده بمفرده.

«كنت قد تدبرت الأمر لأن يقضي هذا الليل في منزل صديق له.» أضافت، وكانت تعلم جيداً أنه فات الأوان في التراجع عمّا استهلت به كلامها.

رفع حاجبيه متأملاً ثم قال: «يقضي الليل خارجاً؟ يا لها من فكرة رائعة وملائمة ـ خاصة أن الفندق يمتلىء بالغرف لأغراضك ومصلحتك مع صديقك. أفهم بأنكما لا يمكنكما انتظار شارلي لكي يبلغ سن الرشد ويبتعد عنكما.»

نظرت وين اليه ملياً وهي لا تصدق ما تسمعه اذناها، انه يشن عليها حرباً لم تتوقع ابداً أن يبدأ هو بالذات بها.

أخذت تلهث بحنق وقالت: «من أين لك الحق في أن تتكلم معي بهذه الطريقة؟ هذا بالاضافة...»

«بالاضافة إلى ماذا؟»

اجابته بحدة وبحالة اقرب الى ذرف الدموع من الحالة التي وصلت اليها، ومن جرأته الوقحة في طرح هذا الموضوع الشخصي امامها، قائلة: «لا دخل لك في حياتي الخاصة ولا بشكل من الاشكال.»

فقال لها: «معك حق، لا دخل لي في حياتك الخاصة. انما لشارلي حق عليك، أو ربما لا يهمك لأنه لا يتودد لصديقك ولا يريده، ولأنه يرفض رفضاً قاطعاً في أن يكون والده التالي.»

تألمت أشد الألم لمعرفتها بأن شارلي قد تناقش مع والده حول العلاقة التي تربطها بتوم، ولكنها لم يكن بوسعها أن تقول أي شيء في هذا الخصوص، انما اجابته على سؤاله وقالت: «طبعاً يهمني. فشارلي هو ابني، كما أنه أهم شيء في حياتي.»

عاد يرفع حاجبيه وقال: «هل هو فعلاً كذلك؟ وهل يعلم صديقك بذلك؟»

لم تجب وين، بل أدارت ظهرها وتابعت صعودها إلى الطابق الأعلى. على أية حال، بماذا يمكنها أن تجيب؟

اتصلت بصديقتها هيزر من غرفة النوم، التي ادركت من نبرة صوتها بأنه قد حصل شيء ما مع وين، وكل ما استطاعت ان تقوله لها كان: «هيزر، لا يمكنني أن أخبرك بالأمر الآن، ربما غداً.» وأعادت سماعة الهاتف إلى مكانها، والقت بنفسها متثاقلة على الفراش منكمشة على نفسها تتألم وتحاول أن تجد مخرجاً لمعاناتها.

لكنها لن تسمح لنفسها بالاستسلام ابداً، ولن تسمح كذلك لعواطفها بالتلاعب بها. ان توم سيمر عليها الساعة الثامنة، وها قد تجاوزت السابعة الآن، فعليها ان تستحم وتتأنق، وتسرح شعرها وتضع المساحيق المناسبة، وان تتحلى بالهدوء والسيطرة التامة على اعصابها عند نزولها إلى الطابق الأرضي لتتمنى لشارلي ليلة هانئة.

هل لأنها لا تريد لشارلي أن يلاحظ ما تشعر به من انزعاج وتوتر، أم لأنها تريد أن تخفي مشاعرها أمام والده؟

لكنها لم تخرج من غرفتها في النهاية الا بعد ان رأت من نافذة غرفتها سيارة توم مقبلة. وحنقت على نفسها لقلة شجاعتها وتركت جايمس يشعرها بأنها تقوم بعمل خاطىء لا تسامح عليه بلقائها بتوم. توجهت الى غرفة الجلوس حيث كان شارلي يثرثر بسعادة مع ابيه، وعندما حاولت أن تضمه إلى صدرها نظر إليها بحنق وابعدها عنه.

قالت له متمالكة اعصابها وبصوت حاولت جهدها كي

يبدو هادئاً في معاملته ورفضه لها: «لا تنسى موعد النوم في الساعة العاشرة.»

تركتهما أمام التلفاز وقد شعرت بالضيق في نفسها لأنها تتصرف كالمنبوذة، ثم توجهت رأساً إلى الباب، ولما حاولت فتحه، سمعت صوت جايمس يناديها.

استدارت لا شعورياً نحو مصدر الصوت وعيناها تحتقنان من الغضب في انتظار الهجوم التالي منه، وشعرت بالأرض تميد تحت قدميها بينما كان يقول لها بهدوء: «اعرف أن الأمر صعب يا وين، ولكن حاولي أن تتفهميه أكثر. فالبنسبة لشارلي، أنت ترفضينه اكراماً لرجل آخر. انه يغار عليك، وهذا يؤلم... آه كم يؤلم هذا.»

نطق بكلماته الأخيرة بحرقة وغصة فشعرت بانقباض في صدرها، بينما تساءلت عن المرأة التي سببت له هذا الألم الشديد. وكادت عواطفها تخونها، ولكنها سرعان ما تذكرت ما يحاول أن يقوم به معها، لذا قالت بصوت مرتجف: «شكراً لك. لا داعي لأن تشرح لي مشاعر ابني.»

أجابها بلطف: «أنه ابننا. ابننا يا وين، وليس ابنك فقط.»

أخذ قلب وين يدق بشدة فأسرعت بالخروج من المنزل.

كان توم قد خرج من سيارته ليتوجه إلى منزلها عندما رآها خارجة منه، فسألها بقلق: «ماذا هناك؟»

أجابت باختصار: «ليس الآن.» فهي غير مهيأة نفسياً بعد للتحدث مع توم في المستجدات الحاصلة. أنها خائفة ومترددة مما ستخبره به.

اختار توم أن يتناولا طعام العشاء في مطعم جديد، علّه يضيف إلى مطعم فندقه بعض المأكولات الجديدة.

كانت وين تعرف أن فاتورة طعام هذه الليلة ستقارن بفاتورة مطعم فندقه، فقد كان توم من هذا النوع. لن يفهم فيما لو قالت له بأنها تفضل تناول العشاء في مكان أقل كلفة وبأن القصد من تناولهما الطعام معاً، له طابع شخصي يخصهما هما الاثنان وليس عملي.

كان مقر سكن توم الدائم في الفندق، ومكوثه الدائم فيه، كان السبب الرئيسي لنجاحه وشهرته. لكن وبالرغم من أنها كانت معجبة بطريقة عمله وطريقة قيادته لسيارته، كانت أيضاً تتمنى لو كان أقل طموحاً وهجومية.

ان يتمنى المرء النجاح الدائم، شيء عظيم جداً، ولكن هناك أمور أخرى في هذه الحياة، مثل ان ينشىء عائلة، هذا ما كانت تفكر وين به مقطبة عندما جلست في سيارته تنتظره ليدير المحرك. وتساءلت لو أنها تزوجت من توم وأسست عائلة معه، كيف سيؤثر ذلك على شارلي.

قطع توم الصمت ليقول: «انها سيارة جميلة.» وقد أشار إلى سيارة جايمس الفخمة، وتابع يقول: «فخمة لدرجة تبدو أنها في غير مكانها المناسب في هذه البلدة.» أثار كلامه الغضب في داخلها وكأنه يلمح أن منزلها وضيع جداً لتقف سيارة بهذه الفخامة أمامه، وتابع يقول: «اتعرفين من يملكها؟»

اجابته بهدوء: «انها تخص والد شارلي.»

هذا الكلام لفت انتباهه، فأدار رأسه نحوها بوجه عابس وبنظرات حادة.

«اعتقدت انه من المفروض ان يكون في استراليا.»

وتساءلت، هل ما تسمعه من نبرة صوته اتهام صريح لها، بأنها كانت تكذب عليه طوال الوقت.

أبعدت بسرعة من رأسها هذه الهواجس، فالصدمة في مجيء جايمس وفي اكتشافها كيف كذب عليها شارلي جعلاها حساسة للغاية وقابلة للانفعال.

فأجابته: «كان فعلاً في استراليا، ولكن مع ذلك، يبدو أنه قد قرر العودة إلى هنا، راغباً في أن يكون قرب شارلي.»

كانت تتكلم بعينين مغمضتين، تحاول أن تمنع تساقط دموعها، لكنها لم تستطع اخفاء يأسها من طريقة كلامها.

انها على خطأ واضح فيما لو كانت تعتقد بأن توم يشعر ويقدّر مواقفها. فبدلا من أن يخفف عنها قلقها وهواجسها، قال لها: «ماذا تعنين بالضبط يا وين؟ ما معنى أنه قرر العودة إلى هنا؟ هل يعني هذا انه عاد بصورة نهائية؟»

هزت وين رأسها بالايجاب دون أن تتمكن من النطق بكلمة واحدة وكأنما الكارثة التي حلت عليها عقدت لسانها. والآن، وبما انها بعيدة عن المنزل وعن جايمس الذي كانت تحاول ان تتظاهر امامه بأنها ليست ضعيفة ولا مضطربة لحضوره، أدركت فجأة هول الصدمة التي كانت تتخبط فيها.

حتى انها تذكرت الألم الرهيب والموجع لحظة اكتشافها وجوده في المنزل، وكيف ان الخيبة أخذت تكبر تدريجياً في داخلها إلى أن وصلت إلى حالة مدمرة لا تحسد عليها. كيف لا، وقد عاد جايمس إلى المنزل وبناء على دعوة من شارلي نفسه، ومن معرفتها بأن جايمس وبطريقة أو بأخرى قد عزم على نزع شارلي من احضانها.

بقيت الدموع تترقرق في عينيها، وشعرت بالغثيان وبالبرودة الشديدة، وبتشوش في أفكارها وبأنها ما عادت تستطيع السيطرة على مشاعرها وعواطفها.

وقالت بحرقة بالغة وبألم وخوف: «انه يريد شارلي يا توم، أعرف ذلك، ويحاول أن يفرق ما بيني وبينه. والآن وبوجوده بيننا...»

أوقف توم سيارته فجأة ليحول نظراته إليها قائلاً بحدة: «يعيش بينكما؟ ماذا تعنين؟»

نظرت وين اليه وقالت: «تماماً كما قلت لك. فعندما عدت من عملي بعد ظهر هذا اليوم، وجدت أن شارلي قد دعاه إلى الانتقال إلى بيتنا والعيش بيننا.»

لم تعجبها الطريقة التي كان توم ينظر بها اليها.

علق توم على قولها قائلاً: «وتركته يفعل ذلك؟ أوه يا وين. لقد حاولت مراراً أن أحذّرك من المشاكل التي تنتظرك من جعلك لذاك الطفل ان يتحكم بحياتك.»

«شارلي ليس طفلاً.»

حملق توم في وجهها ثم قال: «ليس في عينيك طبعاً، لكن لا تقولي لي بأنك وببساطة ستسمحين لهذا الرجل بالبقاء؟ ما هذا يا وين، ما الذي سيقوله الناس عندما يعرفون بأنك سمحت لزوجك السابق في الانتقال إلى المنزل وكأنكم عدتم عائلة واحدة من جديد، خاصة أن هؤلاء الناس يعرفون بأننا، أنت وأنا...؟»

اعترضت وين بعنف: «الأمر ليس كما تعتقد.»

«اطلبي منه الرحيل اذاً.»

اعترفت بيأس: «لا يمكنني ذلك لسبب وجيه، إنه ما زال يملك نصف المنزل، هذا من ناحية، اما من ناحية اخرى...» وحولت نظرها إلى النافذة تحاول ان تسيطر على دموعها المترقرقة في عينيها من الانهمار، وتابعت تقول: «توم،

أخشى أنني لو طردته، ان يأخذ شارلي معه. شرعاً أملك الحق في حضانته، لكن لنفترض أن شارلي اختار أن يعيش مع والده...»

ثم سمعت توم يلعن بصوت خافت وهو يدير محرك السيارة من جديد.

قال بقساوة: «اتعلمين ماذا أعتقد؟ أعتقد أن أفضل شيء قد يحدث بالنسبة لنا، أن يلتحق الولد بأبيه. هل نسيت يا وين، بأننا لا نتفق مع بعضنا البعض؟ وآخر ما أتمناه واريده متى تزوجنا، العند والغيرة من فتى مراهق يعيش بيننا. سننجب اولادنا في يوم من الأيام، ولا أعتقد أنني سأجازف وأتركه بمفرده معهم.»

قالت وين بخوف من تعليقه على الأمر وقد شحب لون وجهها: «توم. ليس عدلاً ما تقوله ولا العقل يتقبله.»

فأجابها دون مبالاة بأمومتها: «آسف. ولكنها وجهة نظري. وفي الواقع، أرى أن الولد متعلق بك جداً يا وين.»

اعترضت قائلة: «هذا غير صحيح.»

لم تكن هذه السهرة بالسهرة الممتعة والمشوقة. فقد كان توم غير لبق وفظاً مع موظفي المطعم، مما جعل وين تشعر بالانزعاج والتوتر، فقد كانت كلماته بخصوص شارلي ما زالت تطن في أذنيها، وأدركت بعد مغادرتهما المطعم، كم أنه غير متفهم ومقدّر لمدى تعاستها وقلقها على مصير ابنها.

وصدر صوت من داخلها يسألها بحدة، إن كان هذا فعلاً هو الرجل الذي تتمنى الزواج منه، والذي لا يأبه بما تعانيه وتحسه، بل يرفضها رفضاً قاطعاً. وبالنسبة لما انتقده

بخصوص شارلي... اغمضت عينيها ورأت بعين الخيال الحياة المقبلة التي ستحياها في ارضاء وملاطفة كلا من توم وشارلي.

شعرت ومع نهاية السهرة بالاعياء والتعب الشديدين، لكن ومع ذلك لم تصل بها إلى الثورة والغضب من كلام توم المتذمر وبوجهه العابس المتذمر.

أسرعت تمسك بمسكة باب السيارة تريد أن تفتحه، في اللحظة التي توقف فيها توم أمام منزلها.

فاتهمها توم بلؤم قائلاً: «ارى انك لا تقوين على الانتظار لرؤيتهما من جديد؟»

«آسفة لأنني أفسدت عليك سهرتك يا توم.» قالت وين باعياء، وقد انهكها بضغوطاته الشديدة، مما سبب لها ثورة في داخلها لا يمكنها اخراجها. وتساءلت، هل كان من الضرورة على توم أن يتصرف بهذا الطيش الصبياني؟ وهل كل الرجال على منواله لا يفكرون الا بأنفسهم دون أي مراعاة لشعور الجنس الآخر؟ وإذا كان هذا صحيحاً، فلماذا؟ هل أنها ميزة طبيعية بهم، أو أن ذلك نشأ فيهم منذ نعومة أظافرهم، ومن أمهاتهم اللواتي أحطنهم بالمحبة والحنان؟

فقال توم: «حسناً، اعتقد أن الذنب ليس ذنبك.» وعندما اقترب يريد مصافحتها، شعرت بانزعاج وخوف منه.

حاولت أن تقنع نفسها بأنها سعيدة لذلك، بينما في الحقيقة كانت تخدع نفسها، لأنها كانت تقارن لمسة يده، بلمسة يد جايمس الذي كان يثير في نفسها أحاسيس ومشاعر لا ولن تشعر بها مع أي رجل آخر.

ولدهشتها، وجدته غافلاً لعدم تجاوبها معه، ويبتسم لها برضى تام وقد سحب يده من يدها.

هتف بعد ذلك قائلاً: «حسناً، قد يكون زوجك السابق قد شاهد ذلك وأدرك كيف هو الحال بيننا.»

ارتعش قلب وين بخوف شديد متسائلة عمّا يعنيه بكلامه هذا، فحولت نظرها إلى المنزل، ولكنها سرعان ما شعرت بالارتياح عندما وجدت ستائر غرفة الجلوس مسدلة.

سألها توم: «لقد أخبرته بشأننا، اليس كذلك؟»

أجابته وهي تفتح باب السيارة: «لقد أخبره شارلي.»

وخامرها شعور مفاجيء عند ذلك وفكرت لو أنها حقيقة تحب توم كفاية لتتزوج منه، فقد باتت غير متأكدة فيما لو أنها ما تزال معجبة به أو لا.

خرجت باعياء من السيارة، ولاحظت كيف انطلق بسيارته دون أن يرافقها إلى باب المنزل أو حتى أن يطمئن أنها دخلت إليه بسلام. على أية حال، هذا هو توم الذي لا يضيع وقته عادة على أشياء يراها غير ضرورية.

دخلت منزلها الذي كان ينعم بالهدوء والسكينة، فنظرت إلى ساعة يدها لترى أنها لم تتأخر كثيراً فقد كانت الساعة قد قاربت الثانية عشرة.

فتحت باب غرفة الجلوس لتجد التلفاز مازال يعمل لكن بصوت منخفض، وأخذ قلبها يخفق بشدة عندما استدارت لترى جايمس مستلقياً نائماً على الكنبة الصغيرة وتوقعت أن يشعر بتشنج في عنقه بعد ان يستيقظ.

بدا في نومه هذا، أقل قساوة وأقرب كثيراً إلى الرجل الذي أحبته ذات يوم. وكانت خصلات من شعره، قد تساقطت

فوق جبينه، تماماً مثل شارلي، فأخذت تكابد وتبعد الرغبة في أن تبعد خصلاته تلك عن جبينه بحنان، كما تفعل عادة مع شارلي.

لقد كانت قريبة جداً منه. كيف تمكنت ان تقترب منه كل هذا الاقتراب؟ وتساءلت عن السبب الذي قادتها فيه قدماها لا شعورياً إليه.

كادت يدها أن تلمسه عندما أدركت ما تقترفه هذه اليد، فانقبض صدرها وحولت نظرها إلى وجهه وقد خشيت أن يكون صاحياً ويراقب حركاتها، ولكنها شعرت بالسكينة عندما وجدته ما زال يغط في نوم عميق.

وساءلت نفسها وقد تراجعت خطوة إلى الوراء، ما الذي كانت على وشك أن تقوم به؟

هل أنها حقيقة أرادت أن تلمسه؟ أخذت ترتجف بشدة وهي تخطو خطوة أخرى إلى الوراء، ثم صرخت بحدة وهلع عندما تعثرت قدماها بحذاء شارلي، وأسرعت تمسك بطرف الكرسي كي لا تهوى على الأرض.

استيقظ جايمس حالا على صراخها، واستوى جالساً على الكنبة التي كان يستلقي عليها وهو عابس الوجه، ثم نهض على قدميه وأمسك بها بسرعة بحركة هادئة ولطيفة حركت مشاعرها.

وعادت بها الذكريات تعصف بها وقد تذكرت كم أحبته وكم ضحت بالكثير من أجله، وكم كانت تشعر كلما أمسك بها بأنها تملك الدنيا وما فيها. كم أنه مؤلم في أن كل شيء أضحى ذكريات ولا شيء سوى الذكريات.

سألها بخشونة وبقلق في آن معاً: «هل أنت بخير؟» سؤاله

هذا أعادها إلى الواقع، فأفلتت منه وكأنها ترفض ما قد شعرت به.

وقالت بغضب: «يعرف شارلي تماماً بأنه يجب عليه ألاّ يترك حذاءه في أي مكان.»

اعتذر جايمس قائلاً: «آسف. انه ليس حذاء شارلي، بل حذائي أنا. أردت الاسترخاء لبضع دقائق...» توقف قليلاً ليتابع بعد أن شعر بجزعها: «ماذا هناك؟ هل تشعرين بخيبة الأمل لأنك لم تتمكني من تمضية بقية السهرة معه؟»

أسرعت متوجهة إلى الباب والغضب يعصف بها. وصعدت إلى الطابق الأعلى إلى غرفة شارلي أولاً كي تطمئن عليه قبل أن تدخل غرفتها.

وجدته ينام نوماً عميقاً، فابتسمت له بعطف وقبلته. انها تحبه كثيراً، تحبه أكثر مما يتصوره العقل البشري، لكن هذا أمر لا بد منه وواقعي.

ثم توجهت إلى غرفتها متعبة.

شعرت وبعد مرور ثلاث ساعات، بأنها منهوكة القوى، لكن عقلها متيقظ لدرجة يستحيل عليها النوم، وكل ما فيها يتوجع ويتألم من الحوادث المتلاحقة عليها.

تساءلت عن السبب الذي دعاها إلى مقارنة توم بجايمس؟ أنها لم تقارنه ولا مرة به، فلماذا فعلت ذلك هذه الليلة؟ كيف ذكرتها لمسة توم ليدها بلمسة جايمس لها بعد مضي تلك السنوات الطويلة لطلاقهما؟

كان يجب عند رؤيتها له مجدداً أن تعزز وتقوي الأسباب التي دعت إلى زواجهما بالتدهور والأفول، لا أن تجعلها تذكر الماضي بألم وحنين.

أنّبت نفسها لأن ما أحست وشعرت به لم يكن سوى تصرفات مراهقة عابثة ولا شيء عدا ذلك. ولنفترض أنها سعدت معه لبعض الوقت، فهل هذا بمثابة الألم الذي ألحقه بها بعد ذلك؟

اضافة إلى كل ما يتوجب عليها فعله هو التركيز والتفكير به في الوقت الحاضر، وكيف ستعالج المشاكل المحيطة بها، وتهديدات جايمس بقطع علاقتها مع ابنها شارلي.

هل تملك الارادة والقدرة على تحمّل وتمالك الأعصاب في رؤية ردة فعل شارلي عندما يرى والده على حقيقته كما تعرفها هي؟ انها مقتنعة كل الاقتناع بأن جايمس سيكشف أوراقه يوماً أمام شارلي تماماً كما فعل معها.

وهمس صوت بداخلها يقول لها، بأنه يمكنها أن تخفف وقع الكارثة على شارلي لو أخبرته بحقيقة والده كاملة، وتفهمه بأن والده لم يكن يريد ولادته منذ البداية. ولكنها عدلت عن هذه الفكرة، فهي لا يمكنها فعل ذلك. وآخر ما تتمناه لابنها أن يتأذى بمشاعره. لكن ومع ذلك، كانت تتوقع بأن ذلك سيحدث في أي وقت.

الفصل الخامس

فتح باب غرفة وين، وعلى صوته استيقظت من نومها العميق والذي استرسلت فيه عند الفجر. كان رأسها يؤلمها وعيناها مثقلتان لكثرة ما ذرفت من دموع الحرقة والعذاب في ليلتها المضنية المليئة بالهواجس والظنون.

وبالرغم من انها كانت تعمل في فندق، فقد اتفقت مع توم ان لا تعمل في العطلة الاسبوعية لكي تكون إلى جانب شارلي، الذي كان من عادته ان يذهب صباح الاحد يركب دراجته إلى البلدة ليأتيها بالجريدة، فتحضر لهما، هي وابنها، افطار الاحد الخاص تضيف إليه طبق البيض المقلي مع النقانق المفضل عند شارلي.

جلست بإعياء في سريرها، ودُهشت عندما رأت كم ان الوقت تأخر، وقد تجاوز الساعة التاسعة.

«صباخ الخير يا أمي، لقد قال أبي بأنه سيحضر الطعام بنفسه ليفسح لك المجال في النوم، ولقد احضرت لك فنجان القهوة.»

مشاعر عدة اخذت تنتابها، ولا واحدة منها اسعدت قلبها. وأكثر ما كان يزعجها ويقلقها، عودة جايمس وحشر نفسه في حياة شارلي، وكيف انه وبذكاء بالغ تمكن ان يبعدها عن مهماتها وان يضعها في المرتبة الثانية. وكيف، والغيرة تنهش قلبها في ذلك، تمكن من ان يحد من اعمالها الروتينية مع شارلي ويتولى بدوره كافة الأمور.

ملأت انفها رائحة القهوة الزكية التي كان يحملها شارلي اليها بانتباه وتأن والتي كان قد اعدها جايمس بنفسه.

تألمت في قلبها بعمق وهي تتناول الفنجان من يد شارلي، لتجد وكأن جايمس أراد أن يعيد الذكريات الموجعة اليها. فقد أعد القهوة بالطريقة الخاصة التي قدمها لها في أول أيام زواجهما وقد نثر بعضاً من الشوكولاتة عليها.

من كان يعتقد بأن مثل هذه المبادرة الصغيرة والغير هامة، قد تسبب لها آلاماً مبرحة. ومن دون شك، انها مبادرة تقدم بها جايمس لتترك أثراً في نفس شارلي وليس في نفسها بالطبع.

انزعجت عندما شعرت أنها أصبحت شديدة التأثر بهذه السرعة، وكم أصبحت تشعر بالخوف وعدم الاستقرار.

قال لها شارلي باهتمام: «لقد اشترى أبي مسحوق الشوكولاتة اكراماً لك عندما ذهبت معه لشراء الجريدة، وقال انك تحبين دائماً القهوة على هذه الطريقة.»

وإذ بها تسمع صوتاً يقول: «آه. إذن كنت مستيقظة. فقد شعرت ان شارلي قد قلق بعض الشيء عليك عندما لم تستيقظي في موعدك الطبيعي، فشرحت له انه عادة وفي السهرات الطويلة تحدث مثل هذه الأمور.»

اهتزّ فنجان القهوة في يد وين، فتساقطت بعض قطرات من سائل القهوة عليها، وانتفضت بهلع لرؤية جايمس يقف عند باب الغرفة.

نظرت إليه بمرارة، تتساءل كيف ستتمكن من التعامل مع كل صدمة تتلقاها تلو الصدمة، وكأنما كل واحدة حبكت لتضعف العلاقة التي كانت تربطها بابنها.

يا له من رجل بارع ذكي، يدرك ويعي نقاط ضعفها. منذ متى يا ترى وهو يخطط لهذه الحملة عليها؟ كما ان الظروف ساعدته وكانت مؤاتية له، خاصة انه كان غائباً، وعودته جذبت شارلي إليه بقوة وعنف.

انها لم تستطع أن تنام كثيراً في الليلة الماضية، فقد كانت قلقة، تفكر في مستقبلها، فادركت ان التعب والاعياء يبدوان جلياً على وجهها، بينما جايمس من ناحيته، يبدو بكامل حيويته ونشاطه. شعره مسرح ومنظم، يرتدي قميصاً طويل الكمين.

لم تسأل وين بعد كل تلك السنوات لطلاقهما، كيف كان يمضي حياته في استراليا، وماذا كان يفعل ومع من... على أية حال، لماذا عليها أن تعرف؟ انه لا يعني لها شيئاً الآن. لقد تطلقا منذ سنوات عديدة وانتهى الأمر. لكنها نظرت اليه وكأنها تشكره على القهوة وقد رسمت شبه ابتسامة على وجهها.

«ستبرد قهوتك.»

هذا التعليق الهادىء أعادها إلى واقعها، فتنبهت بأن جايمس في غرفتها بالذات وقد جلس على حافة سريرها، وكأن له الحق بهذا النوع من الألفة بينهما.

لكن والأهم من كل شيء، هناك شارلي الذي هو بحاجة للاهتمام والرعاية، خاصة وأنه قد أصبح أكثر مطالبة باستقلاليته، ومن ناحيتها، فهي تحترم حاجته هذه وتنفذها.

وتذكرت سعادتها السابقة مع جايمس وكيف كان يداعب شعرها بلطف كي تستفيق من نومها، لكنها سرعان ما أنبت

نفسها. كيف تسمح لمشاعرها بالعودة إلى مثل هذه الذكريات. الأجدر بها أن تتذكر الطريقة التي رفض فيها جايمس طفلهما شارلي، والطريقة البشعة التي جرح بها أحاسيسها ومشاعرها، وكيف انه كان غير صادق معها، وكم قاست وتعذبت وبكت بعد طلاقهما كلما استيقظت من النوم مذعورة لعدم وجوده إلى جانبها.

«ألن تشربي قهوتك؟»

حوّلت وين نظرها إلى فنجان القهوة الذي وضعته جانباً، كأنها لا تثق بنفسها وبأنها لو حملته سترتعش يداها ويسقط منها على الأرض.

«أشرب القهوة سادة هذه الأيام.» أجابته ببرود، وقد كانت صادقة فيما تقول، لكن ذلك لا يعني بأنها لا تدلل نفسها أحياناً وتتناوله بالحليب، انما ليس بالشوكولاتة، والذي كان من الأشياء التي يخصها بها فيما مضى.

وعندما حولت نظرها إلى شارلي، وجدت الخيبة تظهر في عينيه، فأسرعت تصحح ما قالته وقد تذكرت انه هو الذي حمل القهوة اليها.

«حسناً. سأغير عادتي هذه المرة.» قالت مبتسمة لشارلي، متجاهلة جايمس كل التجاهل. وتناولت فنجان القهوة، ثم أخذت ترشف منه.

قال جايمس بسخرية: «أمر غريب فعلاً. أذكر مرة انك شربت القهوة بحماس زائد حتى انك لم تتركي شيئاً منها.»

شعرت وين بانقباض في معدتها، وبتشوش في الافكار، كأنها لا تصدق ما يجري ويدور.

قطع شارلي حبل أفكارها وذكرياتها التي لم تنسها أبداً،

قائلاً: «سأخرج مع أبي هذا الصباح.» وأخذت الذكرى تلو الذكرى تتدفق بألم وعذاب في رأسها. وتابع شارلي يقول: «سأرافقه لنبحث معاً عن عمل له.»

أخذ جايمس يشرح الأمر بهدوء: «أريد أن أجوب في المنطقة وأدرس المراكز الصناعية، فقد رأيت انه من الأفضل ان آخذ شارلي معي، لنمنحك بعض الراحة والهدوء.»

كادت وين أن تقول أنها لا تريد البقاء بمفردها، فأيام الآحاد مخصصة لها ولشارلي، ولكنها وجدت ابنها يتوجه بحماس نحو باب الغرفة قائلاً: «هيا يا أبي.» وعندما لحق الوالد بابنه، أدركت وين بيأس شديد ان زوجها السابق وللمرة الثالثة تمكن من الانتصار عليها.

تناهى إلى سمعها وهي ما زالت في السرير، ثرثرة شارلي مع أبيه بينما كانا يهبطان درجات السلم، فشعرت بالوحدة والتعاسة تحيطان بقلبها. كان بامكانها أن تمنع شارلي من الخروج مع أبيه، لكن كيف يمكنها أن تفعل ذلك خاصة بعد ان رأت الحماس والسعادة على وجهه. لذا، كان من الصعب عليها أن تمنعه اعتقاداً منها أنه ليس من العدل أن تدع الغيرة التي تنهش قلبها من التصرف في هذا الأمر.

الغيرة. وتململت وين باعياء في السرير، بسبب الرباط الجديد الذي ربط جايمس بشارلي. فهي الآن تغار وتخاف عليه، مع انها لها الحق الشرعي بحضانته. تخاف لو ان جايمس طلب اعادة النظر فيمن يؤول إليه الحق الشرعي بذلك، أو ربما أسوأ من ذلك، لو ان شارلي أعلن بنفسه بأنه يريد العيش مع والده.

www.elromancia.com

أخذت أفكارها وهواجسها تكبر وتزداد في هدوء وسكون المنزل. تتصور حياة جديدة غير هذه الحياة، وقد أسس جايمس شركة جديدة ومنزلاً آخر مما قد يجعل شارلي يرى نفسه غير سعيد لوجوده معها، فيطلب منها أن يمضي العطلات الأسبوعية معه في أول الأمر، إلى أن يأتي يوم يقول لها فيه بأنه لم يعد يرغب بالعيش معها ويريد الانتقال إلى منزل والده.

كيف ستتصرف لو حصل هذا يوماً ما؟ يجب ألاّ تسمح بذلك. قد يكون جايمس يريد شارلي الآن، كما كان يريدها قبلاً.

وذكّرت نفسها ان محبة الأطفال تختلف عن محبة الكبار. ولكن جايمس لم يكن يريد شارلي بل رفضه ونبذه وهرب منه ومن مسؤولياته تجاهه.

انه لم يرده سابقاً، ولكنه من المؤكد يريده الآن.

عندها ارتدت ملابسها وتوجهت إلى المطبخ في الطابق الأرضي، فوجدته نظيفاً ومرتباً. وبينما كانت تعد لنفسها فنجاناً من القهوة، تعالى رنين جرس الهاتف، فرفعت السماعة وهي ترتجف من عوامل عدة، فجاءها عبر الأسلاك الصوت المألوف لديها، صوت صديقتها هيزر.

أخذت تشرح لصديقتها قدر المستطاع بأخبارها وما استجد معها من أمور، بينما لم تستطع هيزر ان تمنع نفسها من الدهشة والانزعاج لما حصل مع وين.

«هل تقولين حقاً بأنه انتقل للعيش معكما؟ ولكن كيف سمحت له بذلك؟»

اجابتها وين بتعاسة: «لا خيار آخر عندي. فشرعاً مازال

يملك نصف هذا المنزل. انما الأمر ليس هنا يا هيزر، فشارلي شغوف جداً بوالده، واخشى لو انني اصريت على خروجه...»

«آه، آسفة جداً للذي جرى لك يا وين.»

«لقد تعاطفت هيزر معها فوراً وقدرّت موقفها دون ان تمس بمشاعرها أو تزيد من سوء حالتها التي تتخبط فيها، على عكس توم تماماً.

وعادت هيزر تسألها بحذر: «كيف تلقى توم هذا الخبر؟»

تنهدت وين وأجابت بحرقة وألم: «ليس كما يجب... فقد طلب مني ان اسلم شارلي إلى جايمس وكأنه شيء غير مرغوب عنده. اعرف ان كلاً من توم وشارلي لا يتفقان، ولكنني لم اتوقع منه ذلك... ولقد كان قاسياً وغير متفهماً للوضع من جميع نواحيه، لا بل اخذ يتكلم عنا وعن اولادنا في المستقبل. ومما قاله أيضاً، انه لن يسمح بوجود شارلي بين اولادنا. أتعلمين يا هيزر، لم اكن اتصور بأنه بهذه الأطباع.»

قالت لها هيزر بلطف: «ربما من حسن حظك انه بدا على حقيقته قبل ان تورطي نفسك بارتباطك معه.»

بلعت وين بريقها الجاف وقد ادركت ان صديقتها على حق تام في ما تقوله لها، ووافقتها في الحال: «نعم. لا يمكنني الزواج منه الآن. لقد كنت آمل في ان اجد طريقة من الطرق تقرّب ما بين شارلي وتوم، ولكن الآن... آه ان شارلي مايزال فتياً.»

تنهدت بألم لتتابع قائلة: «اعتقدت ان توم سيتفهم الأمور اكثر، وبأنه سيرضى بشارلي وسيعمل المستحيل ليثبت

لشارلي بأنه مهتم به، ويعده بأننا مع الوقت سنكوّن عائلة سعيدة. اؤكد لك، لو ان الوضع معاكس وأن توم هو من لديه الولد لكنت...»

تنهدت هيزر وقالت: «ألا تعتقدين ان الرجال ليسوا مثلنا؟ فبعضهم لا يقبلون المنافسة والتحدي حتى لو جاءت احياناً من اولادهم انفسهم، ويبدو على توم انه من هذا الصنف. آسفة جداً يا وين. اسمعي، اذا احببت سآتي لزيارتك.»

«لا. لا. انني بخير.» اجابتها وين بسرعة ثم غيرت دفة الحديث، وسألتها اذا كانت ما تزال عازمة على الذهاب إلى نادي الرياضة مساء كل اثنين.

فاجابتها هيزر: «نعم، انني بحاجة إلى ذلك.»

تساءلت وين بعد ان اعادت سماعة الهاتف إلى مكانها، فيما لو اتصل بها توم، ولكنها ادركت أن ذلك غير مناسب الآن. على أية حال، انه لم يكن من ذلك النوع الذي قد يتصل بالأخص ليعتذر منها بما قد سببه لها من ازعاج وألم، أو ليؤكد لها انه ما يزال قائم على حبها. ولكن كيف ومع كل هذه المفارقات، سيرتبطان ببعضهما.

اذاً فصديقتها على حق، ولا بد انها ادركت الآن حقيقة شعور توم بالنسبة لشارلي.

كما ان وين ادركت انه ليس من سبب يدعوها لتقول له بأنها لا يمكنها الزواج منه، لأنه سيبتعد عنها بكل بساطة دون ان يحاول قطع العلاقة بينهما بالطرق الحضارية المعترف بها.

لكن كل الذي كانت تتمناه، ألاّ ينتظر منها الاستقالة من عملها في فندقه، فلقد اجهدت نفسها كثيراً حتى اصبحت

مؤهلة وناجحة. وبالتالي مستقرة استقراراً مادياً كافياً، وعندها فقط، اكتسبت الاحترام والقيمة لنفسها وبالذي صنعته يداها.

فالفتاة التي وبغباء منها، تجاهلت نصيحة والديها في تحقيق ذاتها قبل الاقدام على الزواج من جايمس أو غيره، اصبحت الآن امرأة ناضجة تدرك مدى الخطأ الفادح الذي قامت به. وها هي الآن تشعر ما اهمية ان يكون المرء محترماً، ويعامل بتقدير من الآخرين.

وعاد السكون والهدوء في المنزل يضايقانها، ربما قد يسليها لو قامت ببعض التنظيفات خصوصاً وانه كان قد مضى عليها وقت طويل منذ دخولها إلى غرفة المخزن. وكما تعلمت من خبراتها العديدة، ان العمل الجسدي الشاق كفيل بأن يبعد الأفكار المشوشة عن رأسها.

وبعد مضي نصف ساعة من الزمن، بدأت تشعر بالإرهاق، فجلست باشمئزاز تنظر إلى كل الأشياء التي كانت قد جمعتها وتساءلت، كيف كدست وجمعت مثل هذه السخافات في حياتها؟ كتبها المدرسية القديمة على سبيل المثال، لماذا احتفظت بها؟ وكل هذه الصور... وعجبت عندما لاحظت ان احد البومات الصور يتصدر هذه الأكوام الكبيرة وقد سقطت احدى الصور منه.

وعندما انحنت لتلتقطها، لاحظت ان الصورة كانت تخصها هي، وتظهرها حاملاً، فتذكرت كيف ان اخاها اخذها منها وقال لها مداعباً، انه كلما نظرت اليها ستجعلها تتذكر بأن تكون اكثر حذراً ووعياً في ألاّ تصبح حاملاً من جديد.

لقد ازعجتها مداعبته تلك في ذلك الحين، لكن الآن وهي تنظر اليها بإمعان، تفهمت معنى التعليق الذي وجهه اليها.

لقد كانت حقاً اقرب إلى الطفولة من النضج، وقد ربطت شعرها خلف رأسها المستدير وفوق كل ذلك كانت حاملاً بشارلي. ومن يرى هذه الصورة يلاحظ التناقض الكبير ما بين الوجه وحالة الجسد.

هل ان الكاميرا هي التي جعلتها تبدو صغيرة السن، ام انها هي حقاً كانت تبدو كذلك؟ انها تذكر بأنها كانت تبدو دائماً اصغر من سنها الحقيقي... على اية حال، بعد ان اصبحت في التاسعة عشر من عمرها لم تعد تبدو كذلك وبالطبع ليس كما تظهر في هذه الصورة.

ارتجفت يدها عندما امسكت تلك الصورة وقالت في نفسها، بأنه لا عجب اذا كان جايمس قد ابتعد عنها ورفضها رفضاً قاطعاً لا رجوع عنه.

وبيدين ترتجفان، قطعت الصورة إلى نصفين ثم قامت بتمزيقها إلى قطع صغيرة ورمتها بعد ذلك فوق الأكوام التي لا تريدها.

لقد آلمها كثيراً ان ترى تلك الصورة القديمة لها، هل لأنها اعطت الحق الكامل لرفض جايمس لها يا ترى؟

انها ليست بحاجة إلى صورة تذكرها كم كانت غير ناضجة، مدللة وسخيفة في جميع تصرفاتها. لكنها لم تكن وحدها الملامة. ألم يشجعها جايمس على حبه مدعياً بأنه يحبها حباً كبيراً؟ ولكن كيف وبأية طريقة تمكن من حب فتاة سانجة ومتطلبة مثلها؟ إنها وفي اكثر الاحيان كانت تلاحظ من تصرفات شارلي بأنه ورث عنادها السخيف، ولهذا

السبب كانت لينة ومتساهلة معه على عكس ما يجب ان تتصرف.

نهضت بإعياء وهي تنفض الغبار عن بنطالها. وقررت متى يعود شارلي، أن تضرم النار معه في هذه الأشياء السخيفة. ثم وضعتها في كيس بلاستيك كبير، وبعد ذلك جمعت ورتبت الأشياء التي تريد الاحتفاظ بها.

وفكرت في ان تجعل من هذه الغرفة، غرفة صغيرة للدرس، وهي تتجاهل ذلك النداء الخافت والساخر في داخلها، بأنها تخطط لمثل هذا العمل كي تبعد هواجسها ومخاوفها عنها، وبأن تحصيل شارلي للعلم لن يكون معها بل مع ابيه.

بدأت تشعر بألم شديد في حلقها، الأمر الذي اعتبرته ردة فعل طبيعية لمعاناتها النفسية. وكان الألم الحاد في رأسها مازال يضغط على حواسها. وعندما ابعدت شعرها عن وجهها، لاحظت كم انه كان متسخاً.

نظرت إلى الساعة في يدها وادركت كم تأخر بها الوقت في غرفة المخزن. لابد ان جايمس وشارلي في طريق العودة إلى المنزل، ومن دون شك، سيكون ابنها قد أنهكه الجوع.

وبعزم شديد ابعدت تلك الهواجس من رأسها، وهي تحذر نفسها من انها لو استسلمت لليأس ستسدي لجايمس خدمة كبرى، فحملت الكيس الكبير واخرجته إلى خارج المنزل.

كان البنطال الذي ترتديه واسعاً جداً وقديماً على أية حال، وسبب اتساعه هو الضغط والقهر الذي عانته مؤخراً، من جرّاء العلاقة بين توم وشارلي، مما جعلها تخسر في ذلك بضعة كيلوغرامات.

www.elromancia.com

على الأقل، لقد ازاحت عن عاتقها احدى المشكلات التي كانت تقلقها، فهي لن تتزوج من توم، خاصة بعد تصرفه الشاذ حيال ابنها.

نظرت في المرآة تتأمل وجهها، وهالها ان ترى الشحوب عليه، وادركت أن المساحيق التجميلية لن تعيد إليه رونقه وجماله، بل هدوئها النفسي وصفاء ذهنها، لكنها ومع ذلك، وجدت انه من المناسب لو انها وضعت احمر الشفاه على شفتيها ستبدو أكثر إشراقاً.

لقد اخفت السترة الواسعة ضعفها، وهذا لا يعني انها كانت نحيلة كثيراً، ولكن اذا خسرت من وزنها اكثر من ذلك، فستبدو فعلاً كذلك، وهزيلة وغير جذابة ولا بأي شكل.

وفكرت بجايمس وبالفتيات اللواتي عرفهن، تقارنهن بنفسها، وكم انهن يتدفقن حيوية ونشاطاً وجاذبية.

لقد شعرت مرة بهذا الشعور، انما لفترة محدودة من الزمن، حيث كان جايمس يقول لها كم انه يحبها. وكم كانت تبتهج نفسها عندما يحاول بشتى الطرق ان يسعدها.

لقد اعتقدت بأنه سيحافظ دوماً على وعوده لها، ولكنه لم يفعل. اغمضت عيناها والذكريات تأبى الا ان تعصف بها، واخذت ترتجف وكل لحظة من لحظاتها السعيدة مع جايمس كانت تتهددها وتتوعدها بالانهيار في اية لحظة.

واستفاقت من دوامة ذكرياتها على صوت عويلها الخافت أولاً، وعلى صوت اغلاق ابواب السيارة، ومن ثم على صوت خطوات في الخارج، وفتح الباب الخارجي.

«أمي، ها قد عدنا.» قال شارلي وقد دخل إلى غرفتها،

فاتسعت عيناها بغتة. وتورد خداها خجلاً، ذلك لأنها لم تجد شارلي وحده في غرفتها بل جايمس أيضاً.

ترى، كم من الوقت مر على وقوفه على باب غرفتها؟ وهل رأى الحالة التي كانت عليها يا ترى؟ هل ادرك بأنها كانت تحلم وتفكر باللحظات التي اسعدها والهب فيها مشاعرها؟

شعرت بالخجل من نفسها وانبتها على غباوتها، فكم من المرات بعد طلاقهما كانت تعبث بها الذكريات وتؤرق مضجعها، ولكنها هل توقفت مرة واحدة عن ذلك لتلوم نفسها وتقول لها بأن ما تفعله لهو تدمير ذاتي لها؟

كان شارلي في تلك الاثناء يثرثر بحماس عن كل الذي شاهداه ورأياه وعن سيارة جايمس الفخمة، لكن وين لم تستطع ان تركز على حديثه. كان وجهها مازال متوردا بحمرة الخجل وكأن جايمس قد لاحظ ما كانت في الحقيقة تفكر به.

«آسف، ان كنا ازعجناك.»

جاءت كلمات جايمس هادئة، فبغتت بها وكأنها قامت بذنب عظيم، وانعكست في عينيها رهبة الموقف وكيفية الخروج منه.

ماذا كان يقصد؟ ما الذي يحاول ان يقوله؟ ابتعدت بنظراتها عنه وهي مازالت تشعر بالخجل. لكنه اقترب منها ومال اليها، فخطت بسرعة خطوة إلى الوراء وقد افزعتها مبادرته تلك.

«لقد اسقطت هذه.» قال ذلك وقد امسك باحمر الشفاه خاصتها، وتساءلت وقد اخذ يدقق النظر من رأسها إلى

اخمص قدميها، فيما لو ان ضميرها هو الذي يوحي اليها بأن تعتقد ان نظراته تلك تؤكد لها انه ادرك ما كانت تفكر به، وبأن الذكريات كانت تؤلمها وتعذبها.

قطع حبل افكارها صوت شارلي يقول: «أمي، أنا جائع. ماذا أعددتِ للعشاء؟»

كان في الثلاجة فخذ من لحم البقر، وكانت تريد ان تعده لطعام الغذاء وقد اشترته من ملحمة البلدة مع بعض النقانق منذ يومين. لكن وعندما جلست وين إلى المائدة، وجدت نفسها لا تستطيع ان تأكل لقمة واحدة منه، لأنها كانت ما تزال مضطربة من دخول جايمس المفاجيء عليها، وهي في تلك الحالة العصبية التي اعادتها إلى سنوات عديدة مضت.

وضعت الشوكة والسكين جانباً، وابعدت صحنها توبخ نفسها. كيف فعلت ذلك وكيف شعرت بأنها...؟

وقفت على قدميها بتثاقل، وقد ادركت تمام الادراك بأن جايمس يراقبها، لكن ذلك لم يكن يهمها على الاطلاق. وتوجهت إلى حنفية المطبخ لتسكب لنفسها كوباً من الماء، ثم اخذت ترشفه على مهل حين لحق بها جايمس.

«هل انت بخير؟»

«ألم بسيط في رأسي، وهذا لا يزعج.» لقد كذبت عليه، بينما في الحقيقة كان حلقها يلتهب من الألم. وتساءلت كيف يجرؤ ان يطرح مثل هذا السؤال عليها، بينما هو يعلم حق العلم بالذي تشعر به من وجوده هنا... ومشاهدته مع شارلي، ومن... ومن كل شيء.

ولكنها لم تستطع الاعتراف لنفسها بأن ما كان يخجلها

ويعذبها هو رؤيته المفاجأة واقفاً عند الباب عندما فتحت عينيها، وقد تساءلت فيما لو كان يراقبها، فلو كان حقاً...

فقال لها مؤاسياً: «بعض الهواء الطلق قد يجديك نفعاً اكثر من الحبوب المهدئة.»

ولكنها لم تعد تحتمل اكثر من ذلك، فوضعت كوب الماء جانباً واستدارت نحوه بسرعة وعيناها تشتعلان غضباً.

«ربما تمكنت في شق طريقك إلى هنا بسهولة يا جايمس، وربما تملك القدرة على تهديدي وتوعدي كي اسمح لك بالبقاء، وربما يمكنك ان تقنع شارلي بأنك رجل عظيم كاسطورة سوبرمان، ولكن ولا شيء من ذلك يعطيك الحق لتشير بما يتوجب علي فعله. انني امرأة ناضجة الآن، ولست طفلة، و...»

قاطعها يحاول ان يهدىء من انفعالها: «نعم. أعرف انك كذلك، وبأنك لم تعودي طفلة.»

أخذ جايمس ينظر اليها بعينين مشعتين، فحاولت ان تصرخ في وجهه وتقول له ان يتوقف عما يقوم به، ولكنها لم تستطع وشعرت بشلل تام في أطرافها، ماذا لو تقدم منها أكثر؟

فتح باب المطبخ فجأة ليدخل منه شارلي، سائلاً: «ما نوع الحلوى التي اعددتها لبعد العشاء؟»

كانت وين تشعر بدوار شديد في رأسها فاجابته بتلكؤ: «مربى الفاكهة يا شارلي. وهناك بعض اللبن اذا كنت ترغب به.»

جاءت كلماتها طبيعية وخالية من اي تأثر، كذلك بدت حركتها طبيعية عندما تناولت الصحن من يد شارلي لتتوجه

إلى الثلاجة، لكن في داخلها لم تكن الأمور طبيعية، بل كانت ترتعش من الذي كاد يجري بينها وبين جايمس.

وكل ذلك بسببها. قالت لنفسها، فلو انها لم تطلق لذاكرتها العنان والعودة بكل اندفاع إلى الماضي، لما كان خطر على باله ان يحارب ضعفها كامرأة، وها هو الآن يحمل سلاحاً جديداً ليحاربها به ليأخذ شارلي منها.

ليس هناك ادنى شك لديها الآن، لماذا وبتعمدٍ يحاول تعذيبها، كما انه يريد ان يضعفها بقدر ما يستطيع، يريد تحطيم وتهشيم العلاقة القائمة بينها وبين شارلي، دون ان يهمه الخساسة في افعاله تلك.

الفصل السادس

ان ينتاب الأرق المرء ليلتين متواصلتين دون أن يجد للنوم سبيلا إليه، لهو أمر متعب يصعب احتماله. هذا ما فكرت به وين وهي تنهض من سريرها. والأسوأ من ذلك كله، ان اليوم هو يوم الاثنين ويتوجب عليها أن تكون في مركز عملها في الساعة التاسعة تماماً، بعد أن توصل شارلي إلى مدرسته.

فتحت باب غرفتها لتتوجه إلى الحمام وهي تشعر بقلق خشية في أن تلتقي بجايمس، ولكنها شعرت بالهدوء والسكينة يلفان المكان، كما أن باب غرفة جايمس كان ما يزال مقفلاً.

في كل الأحوال، ليس من موجب يدعوه للنهوض باكراً. قالت لنفسها باشمئزاز وهي تدخل إلى الحمام وتقفله باحكام وراءها. استحمت وغسلت شعرها بسرعة ونظفت أسنانها، وبعد أن انتهت من كل ذلك، توجهت إلى غرفة شارلي لتتأكد أنه استيقظ من نومه، قبل أن تعود إلى غرفتها لترتدي ملابسها.

بعد ذلك، كان عليها تحضير طعام الفطور في الطابق الأرضي وكان العمل الروتيني لها، أن تصغي إلى نشرة الأخبار وهي ترتدي ملابسها، انما في هذه المرة كانت تصغي إليها بقلب عاصف منقبض.

ذلك لأنها لم تألف وجود جايمس في هذا المنزل منذ سنوات طويلة... معها ومع شارلي...

www.elromancia.com

قطبت حاجبيها وقد وصلت بتفكيرها إلى هذه النقطة، ثم أسرعت تهبط السلالم لتكمل مستلزمات شارلي.

كان فطورها يتألف عادة من سلطة الفاكهة الطازجة وبعض الخبز المحمص، مع فنجانين من القهوة على الأقل. أما فطور شارلي فقد كان أكثر دسامة، الحليب الكامل الدسم مع دقيق القمح، الخبز المحمص وعصير البرتقال الطازج.

أخذت تعد حقيبة غداء شارلي الذي سيتناوله في المدرسة، وقد التوت قسمات وجهها باشمئزاز لاختياره البيتزا مع البسكويت المحضر في البيت، هذا بالاضافة إلى علبة صغيرة الحجم لسلطة الفاكهة الطازجة وبعض العصير الطازج أيضاً. لكنه كان في بعض الأحيان يفضل الخروج من المدرسة ليتناول طعام الغداء في أحد المطاعم التي تقدم الوجبات السريعة، ولغاية الآن لم تعاني من أية مشاكل في ذلك، مع أن قانون المدرسة كان صارماً ويمنع خروج التلاميذ من المدرسة وهم دون الصف الخامس.

عادت إلى غرفتها لتصلح من زينتها عندما نزل شارلي ليتناول فطور الصباح. وكان قد ترك باب الحمام مفتوحاً مما مكنها من رؤية المناشف المبللة مرمية باهمال على الأرض. تضايقت من ذلك ونادت على ابنها شارلي.

جاء شارلي إليها، فبادرته مؤنبة: «لقد تركتَ الحمام غير مرتب بعد الاستعمال، والمناشف مرمية على الأرض. ضعها في سلة الغسيل، أنت تعلم جيداً مكانها.»

كانت تعلم أنه من الأسهل عليها أن تضع هذه المناشف بنفسها في السلة، ولكنها لا تريد أن تشجع شارلي على

الاهمال والكسل، لذا فقد أصرت على موقفها بعناد شديد وتوجهت إلى الطابق الأسفل.

شربت القهوة بسرعة وهي تذكّر شارلي ألاّ ينسى عدة الرياضة.

«سأمر عليك عند هيزر كالعادة.»

قالت له ذلك وتوجهت إلى غرفتها لتضيف بعض المساحيق التجميلية على وجهها.

كان باب غرفة جايمس ما زال مقفلاً. قطبت حاجبيها عندما مرت من امام غرفته، وتساءلت هل تقرع على الباب وتسأله ان كان يرغب في القهوة؟ فهناك الكثير منها في الابريق.

ذكّرت نفسها وبقسوة، بأنه ليس هنا ضيفاً وعليها أن تحسن ضيافته، بإمكانه تحضير القهوة بنفسه لو أراد.

أخذت تسرح شعرها وجمعته إلى الوراء بربطة ملونة. انها تسريحة بسيطة تناسب طبيعة عملها.

ثم لاحظت بعد ذلك أن المناشف ما زالت على ارض الحمام.

نادت على شارلي بغضب، قائلة: «شارلي!»

«حسناً، حسناً.»

كانت تهبط السلالم عندما فتح باب المنزل ودخل منه جايمس. من المؤكد أنه كان يمارس رياضة الجري، فقد كان شعره مبلل بالعرق. دهشت لذلك وكأنها ترى شيئاً غير مألوف أمامها، ما جعله يقف في مكانه ويركز نظراته عليها، فشعرت وقد تسمرت في مكانها للحظة أو أكثر، أنها تحترق من رأسها إلى أخمص قدميها بمزيج من الاستياء والحذر، بينما أخذ قلبها ينبض بشدة.

وحتى تخلّص نفسها من كل ذلك، عادت تنادي شارلي: «هيا يا شارلي! فأنت تعرف جيداً بأنني يجب أن أكون في الفندق في التاسعة تماماً. فاذا لم تكن حاضراً خلال دقيقتين فقط، ستضطر إلى الذهاب إلى مدرستك سيراً على قدميك.»

انه تهديد عادي ومألوف عادة بين الأم وابنها، لكنها لم تكن عادة تنفذه، ولكن جايمس لم يرض بقولها هذا.

وقال لها: «اسمعي. يمكنني أن اصطحبه بنفسي إلى المدرسة.»

غضبت من نفسها بقدر ما غضبت منه. وكانت على أهبة أن ترفض اقتراحه هذا عندما ظهر شارلي فجأة يمشي بلغط وضوضاء وقد رسم ابتسامة عريضة على وجهه، قائلاً لأبيه:

«هل يمكنك ذلك يا أبي؟ انه لأمر عظيم! أحب أن يرى الجميع سيارتك الفخمة.»

غضبها الشديد من جايمس جعلها تتوجه إلى شارلي قائلة بعنف: «هذا تصرف بغيض يا شارلي، فالأمور المادية ليست الأهم في هذه الحياة، انما الانسان بما يفعله بذاته.»

أجابها شارلي بنفور وقد مر بجانبها متوجهاً إلى المطبخ: «نعم، نعم.»

«الا ترين أنك بدأت بعظاتك الأخلاقية في وقت مبكر هذا اليوم؟» سألها جايمس بسخرية بينما ابتعدت عنه بغضب، فأضاف بهدوء: «آه. بالمناسبة يا وين. ربما قد يكون تعليقك هذا موجه إلي أكثر منه لشارلي، لذا أريد أن أوضح لك شيئاً هاماً. قد استغل ممتلكاتي وامكاناتي

المادية لرشوة احد ما، ولكن لا وألف لا أن أفعل ذلك مع ابني.»

سألت وين نفسها بيأس بعد ذلك عندما أصبحت في سيارتها، لماذا يحصل كل ذلك؟ ولماذا يتحكم بها بأقواله وأفعاله؟

وهكذا بدأت نهارها من سيء إلى أسوأ.

لقد تصرف توم معها بمزاج مختلف اليوم، وأنبها على هفوة دقيقة وحساسة ارتكبتها يوم السبت الماضي بالنسبة للمؤتمر الذي كان من المقرر عقده في نهاية الأسبوع الحالي.

وبصبر طويل، أخذت وين تصغي اليه وتحاول جهدها أن تسيطر على أعصابها وتذكر نفسها كم هي بحاجة إلى المحافظة على عملها هذا. وكان مبدأهما، هي وتوم، ألاّ يتباحثا سوى بالامور العملية ولا شيء عدا ذلك، عندما يكونان في مركز العمل. لذا، لم تندهش عندما لم يفاتحها بالذي جرى بينهما ليلة السبت، ولكنه كان يثيرها ويغضبها كلما وجه ملاحظات صغيرة مقتضبة لوجود جايمس في بيتها.

لم يتسن لها تناول طعام الغداء بسبب ضغط العمل الشديد في هذا اليوم. وعندما تمكنت من مغادرة الفندق بعد ساعة من الموعد المحدد، شعرت بعصافير بطنها تزقزق من الجوع معترضة على هذا الاهمال منها.

كان عليها أن تأتي بشارلي من بيت هيزر، وتسرع إلى بيتها لتحضر طعام العشاء، ومن بعد ذلك تجهز نفسها لتذهب مع هيزر إلى النادي الرياضي. دقت باب صديقتها

وبدأت بالاعتذار منها لتأخرها، عندما فتحت لها تلك الصديقة الباب.

قاطعتها هيزر لتقول لها بعبوس: «آه، لكن شارلي غير موجود. لقد قال لداني بأن والده سيصطحبه من المدرسة.»

أخذت تلعن جايمس من بين انفاسها المتلاحقة، وعادت إلى سيارتها واقفلت بابها بعنف وقوة. كأنها بذلك تزيل الثقل الكبير الرازح فوق صدرها. وعندما حاولت أن تدير محرك السيارة، رفض ذلك المحرك أن يدور بعناد وصلابة.

وأخذت تهدىء من نفسها وتحاول من جديد تشغيل محرك السيارة، وبعد لحظات قليلة استجاب المحرك لمحاولاتها المتكررة.

وصلت أخيراً إلي بيتها، وتوجهت رأساً إلى المطبخ، لتجد شارلي وجايمس يجلسان إلى الطاولة وقد انتهيا من الوجبة التي كانت قد قررت أن تتناولها لعشاء هذه الليلة.

سألتهما باشمئزاز وقد خلعت عنها سترتها: «هل استمتعتما بها؟»

نظر شارلي إليها بدهشة، وأدركت في الحال كم كانت فظة بكلامها.

داعبت شعر شارلي وقالت: «آسفة. فأنا أشعر بالتعب قليلاً.»

توقفت عن الكلام وقد لاحظت الطريقة التي كان ينظر بها جايمس إليها، ودون ارادة منها استدارت لتنظر إليه.

سألها جايمس: «هل كان يومك شاقاً؟»

من المستبعد أن يكون حناناً وعاطفة ما تراه في عينيه، انه فقط يحاول اثارة غضبها بطريقة مختلفة.

أجابته ببرود: «نعم. يمكنك أن تقول ذلك. لكن الذي لم اقو على احتماله، هو أن أذهب إلى صديقتي هيزر لاصطحب شارلي وافاجأ بأن والده مر عليه في المدرسة واصطحبه إلى البيت.» ثم تحولت إلى شارلي لتقول: «كان من الواجب عليك يا عزيزي أن تتصل بي وتعلمني بذلك.»

لقد حاولت جاهدة أن تزرع في رأس ابنها الشعور بالمسؤولية تجاه الآخرين، لكن دون أن تضغط عليه وتحمّله فوق طاقته. كما أن شارلي كان يعلم أنه إذا اضطر إن يغير مواعيده معها، عليه أن يتصل بها ويعلمها بالأمر. وكانت تقول له دائماً أنه يفترض منه أن يحترم ويقدر مشاعر الآخرين، وأن هذا التصرف في غاية الأهمية. وكانت تصر على أن يظهر حسن السلوك والتصرف إلى المقربين اليه كما لمن يصادفهم في المجتمع، وتعيد على مسامعه دائماً: «عامل الآخرين كما تريد أن تعامل.»

لكنها الآن شعرت بالأسى في قلبها عندما اخفض شارلي رأسه وقد شعر بالذنب، وهو يقول لها: «آسف يا أمي.»

انها في الحقيقة ليست غلطته، بل غلطة جايمس. قالت في سرها وهي تبتعد عنهما، لكنها سمعت جايمس يقول وكأنه قرأ ما كان يدور في خلدها: «لا. لقد كانت غلطتي واعتذر لذلك يا وين. لقد فكرت فعلاً بالاتصال بك، لكن بعد الذي سمعتك تقولينه ليلة السبت الماضي، رأيت أن آخر ما تريدينه أن اتصل بك في الفندق. فلو أن صديقك...»

تملك وين الغضب الشديد والتفتت اليه بحدة وقالت: «ان توم لا يدير سنترال الهاتف بنفسه. ولنفترض انه فعل ذلك

بالصدفة، فأنا متأكدة بأنه سيدرك السبب الذي دعاك للاتصال بي.»

قالت ذلك مع أنها كانت تعلم جيداً أن توم لا ولن يتفهم السبب الذي دفع بجايمس ليتصل بها، أو لنقل أنه سيتعمد ألاّ يتفهم الأمر. على كل حال، هذا لم يعد مهماً الآن... خاصة وأنها أدركت أنه لن يكتب لعلاقتهما بالاستمرار.

قطع شارلي حبل أفكارها ليقول: «هل ستخرجين هذه الليلة يا أمي؟ أريد أن أشاهد مع أبي هذا الفيلم...»

فقال جايمس بلطف: «مع صديقك مجدداً؟ أرى أنك تدّعين بأنك أم صالحة تهتم برعاية ابنها، بينما ومن ناحية أخرى، أراك تتكلين على الآخرين ليهتموا بالمسؤوليات المترتبة عليك. ماذا خططت لشارلي هذا المساء؟ في أن يقضي هذه الليلة في بيت صديقة أخرى؟»

غضبت وين غضباً شديداً، لكنها أخذت تهدىء نفسها، وقد لاحظت عيني شارلي تشعان باهتمام شديد لما يدور من حوار بينها وبين والده. انها لن تفجر غضبها قبل أن تبعد شارلي إلى الطابق الأعلى.

فقالت بهدوء بالغ بينما الغضب يهزها هزاً عنيفاً: «لمعلوماتك الخاصة، أنا لن أقابل توم هذه الليلة، بل انني ذاهبة إلى النادي الرياضي مع صديقة لي. أما بالنسبة لشارلي، فهو عادة يذهب معي.»

كان هناك لحظة صمت قبل أن يقول جايمس: «هل يحب شارلي هذا النوع من الرياضة؟»

أخذت وين تكز على أسنانها بانفعال شديد، ثم أجابته: «ان شارلي سيسبح مع داني في بركة السباحة التابعة

للنادي. وقبل أن تتفوه بكلمة أخرى، أحب أن أُعلمك أن لشارلي شهادة في السباحة، كما أنه يوجد عامل للانقاذ دائماً عند البركة. وكما ترى، أنا لا أشجعه على أن يلازم البيت لمشاهدة أفلام الفيديو. أود هنا أن أسألك، هل كلفت نفسك مرة واتصلت بي من استراليا لتسألني كيف أتدبر مسيرة حياتي معه؟ لقد كنت وحدي المسؤولة الوحيدة عنه منذ ولادته لغاية الآن يا جايمس. واذا كنت تظن بأنه يمكنك الدخول إلى حياتي الآن لتخبرني كيف أعامل ابني...»

صحح جايمس قولها مقاطعاً: «ابننا.»

أدركت وين أنه بالرغم من هدوء أعصابه ورباطة جأشه، كان في داخله غضب شديد يوازي غضبها، كما أنه كان في المطبخ جو محموم يهدد بالانفجار في أية لحظة، فتصلبت أعضاؤها وسرت قشعريرة باردة في عروقها ولكنها شعرت فجأة بعد ذلك بأنها لا تود الاصطدام معه وتريد الابتعاد عنه.

وباعياء شديد، اندفعت من أمام جايمس إلى باب المطبخ بصدر منقبض وتوتر شديد في داخلها.

بقي الاتهام الذي وجّهه جايمس إليها يطن في أذنيها. لم تبق في النادي الرياضي طويلاً كما هي العادة، حتى انها لم تستحم هناك ولم تبدل ملابسها الرياضية، ورفضت اقتراح هيزر بتناول القهوة في أحد المقاهي قبل عودتهما إلى البيت.

وقالت بوجه شاحب: «آسفة، لا يمكنني ذلك. لم يكن علي أن أخرج أبداً. هذا عمل غير مسؤول مني خاصة أن ابني في البيت.»

دهشت هيزر من كلامها وقالت: «ماذا؟ أنت غير مسؤولة؟ من الذي قال لك ذلك؟»

أجابت وين متألمة: «جايمس... اسمعي يا هيزر، لو بدأت بالحديث في هذا الشأن الآن، قد لا أتوقف، ولكنني أقسم لك بأنه لو أدعى مرة أخرى بأنني لا أراعي حقوق شارلي، فلسوف...» توقفت عن الكلام وقد انهمرت دموعها.

أما هيزر التي لم تشاهدها مرة على هذه الحال من اليأس والانزعاج، أخذت تحدق بها بخوف وقلق.

واسرعت تقول لها: «هيا الآن، أنت بحاجة لفنجان من القهوة يهدىء من أعصابك المتوترة.»

أجابتها وين بسخرية: «ان الرياضة رغم تأثيرها لم تستطع أن تهدىء من أعصابي المتوترة، كما أنني لا يمكنني البقاء أكثر. وأسألك يا هيزر، لماذا نحن النساء نشعر بالذنب أكثر من الرجال؟ أعرف أنني فعلت كل ما في استطاعتي لشارلي، ومع ذلك ربما لم أكن متميزة، لكن من هو الانسان الكامل على وجه الأرض؟ لقد تمكّن جايمس وفي غضون أيام قليلة أن يحولني من امرأة عاقلة، هادئة، حكيمة وناضجة، إلى امرأة لا يؤتمن جانبها، غير قادرة على السيطرة على أعصابها، وقد جعلها تشعر أيضاً بأنها لم تكن أهلاً لتنشئة وتربية ولدها.»

أجابتها هيزر وهي تحاول تهدئتها: «هراء! أنا لم أعرف أماً أفضل منك، حتى أن والدة ريك تصفك بأنك أم رائعة ومثالية.»

ضحكت وين لقولها هذا لأنها تعلم شعور صديقتها تجاه حماتها المستبدة بمعتقداتها وتصرفاتها التي لا تحتمل ولا بأي شكل من الأشكال.

أخذت وين ترتجف من البرد عندما أصبحت في

سيارتها، فأشعلت جهاز التدفئة، وهي تلوم نفسها لأنها لم تستحم فور انتهائها من مزاولة الرياضة البدنية.

إن هذا الارتجاف الشديد لا علاقة له بمواجهة جايمس بعد قليل، لكن كيف تفكر بذلك ولماذا؟

كانت في حالة يرثى لها عندما خرجت من السيارة ودخلت المنزل، ثم توجهت إلى المطبخ ومن ثم إلى غرفة الجلوس لتجد شارلي يجلس بجانب والده يشاهدان فيلماً من الأفلام.

وعندما حاولت أن تتكلم مع شارلي، قال لها آمراً: «اسكتي يا أمي، لقد وصلنا إلى النقطة المهمة في هذا الفيلم.»

فكرت بيأس بينما كانت تعود إلى المطبخ، انها قد أسرعت بالعودة لأجله لكنه لم يكترث لها. نظرت إلى كراسي المطبخ طويلاً تريد أن تجلس على واحدة منها، ولكنها شعرت بأنها لو فعلت ذلك فربما لن تستطيع النهوض عنها لاعيائها الشديد، كما أنه كان عليها أن تقوم بكي بعض الملابس. أخذت تئن انيناً مكتوماً وقررت أن تعد لنفسها فنجاناً من القهوة أولاً.

«ارتاحي أنت... وسأقوم عنك بهذا العمل.»

لم تتوقع دخول جايمس المفاجيء عليها، فالتفتت لتنظر إليه بوجه شاحب هزيل، وتساءلت لماذا ينظر إليها بهذه الطريقة الشاذة والغريبة.

لامست وجهها لا شعوريا، فادركت حالاً كيف كانت تبدو، شعرها مبلل من العرق، تماماً مثل ثياب الرياضة التي ترتديها.

فقالت بحرج شديد: «لم استحم بعد ان زاولت الرياضة، اعتقدت أن شارلي...»

«شارلي بخير. انه يشاهد فيلما كما رأيته. لكن ماذا تعني بأنك لم تستحمي؟» ثم عبس في وجهها فجأة ليتابع قائلاً: «من المؤكد انك تعلمين كم هو مهم في أن تهدئي وترتاحي بعد التمارين الرياضية... والضرر الذي قد تسببيه لنفسك بتجاهلك لمثل هذه الأمور؟»

ملاحظة جديدة يلقيها جايمس وكأنه يذكّرها بأنها غير جديرة بالمسؤولية تجاه نفسها وتجاه غيرها. فاضطربت وشعرت بدوار شديد، خاصة وانها كانت تدرك جيداً أهمية الراحة بعد الانتهاء من مزاولة الرياضة، لكنها شعرت هذه الليلة بأن عودتها إلى شارلي بسرعة أهم بكثير من الانتباه لنفسها.

رفعت يدها المتعبة إلى فروة رأسها قائلة: «لم... لم أعتقد...» نطقت بهذه الكلمات بصوت أبح وهي لا تدري لماذا نطقت بها.

«لا، انك كعادتك دائماً، متهورة وطائشة.»

تغيرت نبرة جايمس إلى نبرة هادئة ولطيفة. لقد لاحظت وين ذلك ولكن رأسها كان مشوش جداً ليحلل سبب ذلك التغيير.

«اسمعي. لماذا لا تنزعي عنك هذا؟ فأنت مجهدة جداً.» وبدوار شديد في رأسها، شعرت بيد جايمس تلامس وجهها الحار كأنه يريد أن يقدّر حرارتها.

كانت فعلاً تشعر بالحرارة الشديدة... والتعب المضني... واليأس والألم و...

تجمدت وين ولم تستطع الحراك عندما شعرت بأصابع يده فوق جبينها، فتمنت في داخلها ألاّ تضعف أمامه وتتذكر بأن هذا الرجل كان في يوم من الأيام حبيبها وزوجها، ووالد ابنها...

قطع الصمت بينهما لهاثها الحاد، فأبعد جايمس يده عن جبينها وتراجع خطوة إلى الوراء بعيداً عنها، فأسرعت بالخروج من المطبخ بينما كان قلبها يخفق بخوف وبخيبة أمل.

كان هذا الحدث خاتمة آلامها لهذا اليوم. فقد جاءها شارلي ليبشرّها بأن المدرسة ستقفل أبوابها يوم الأربعاء بسبب المشاكل الحاصلة في جهاز التدفئة.

وذكرها شارلي قائلاً: «لقد أخبرتك بذلك في الأسبوع الماضي يا أمي.»

«آسفة يا عزيزي، لقد نسيت ذلك. على العموم، سأسأل هيزر اذا كان يمكنك ان تمضي ذلك اليوم في بيتها مع داني.»

فاجئها جايمس بقوله: «لا داعي لذلك. يمكنني أن أمضي ذلك اليوم مع شارلي. هل لديك مانع يا شارلي؟»

وتساءلت وين في نفسها، لماذا الحظ سخي لهذه الدرجة مع جايمس؟ وقدرها هي كامرأة أن تتحمل ذلك بالطبع، أليس كذلك؟ فأومأت برأسها موافقة وقد شعرت بالهزيمة مرة أخرى.

فقال شارلي بحماس وفرح: «يمكننا الذهاب إلى داينلاند.»

نظر جايمس بتساؤل إلى وين وقال: «داينلاند؟»

فشرحت وين قائلة: «انها مدينة ملاهي افتتحت الصيف الماضي، يمكنك الوصول إليها بأخذك الطريق العام، و...»

قاطعها شارلي موجهاً كلامه إلى أبيه قائلاً: «كانت أمي قد وعدتني أن تأخذني إليها السنة الماضية، ولكنها لم تجد وقتاً لذلك. كما أن جميع أصدقائي في المدرسة ذهبوا لمشاهدتها.»

امتنعت وين باشمئزاز أن تذكّر شارلي أن السبب الرئيسي في عدم ذهابهما إلى مدينة الملاهي الجديدة، كان بسبب ذهابهما لتمضية عطلة نهاية الأسبوع في سنترباس.

الفصل السابع

كان توم قد أخبرها أنه يوم الأربعاء المقبل سيضطر أن يتغيب عن الفندق لأجل عدة اجتماعات عمل، ولكنه لم يلمّح لها بشيء بخصوص خروجهما لسهرة السبت المقبل. وساور وين الشك، بأنه مثلها، قد قرر أن يضع حداً لعلاقتهما معاً.

كان يزعجها أن يتخلى عنها بهذه السهولة، وبأنه لا يهمه الزواج بتاتاً، وهي تعلم أنها لا يمكنها الزواج منه بسبب تصرفه الشاذ تجاه ابنها شارلي.

نظرت من نافذة المكتب إلى الباحة الخارجية للفندق، ورأت حبيبين يتمشيان على مهل، ثم توقفا، فالتفتت المرأة تبتسم له وقد قال لها شيئاً ما.

انهما لم يكونا حبيبين صغيرين، فشعرت وين فجأة بصدرها ينقبض بشدة من الوحدة والفراغ اللذان تحياهما. وللحظة يائسة، شعرت بالغيرة والحسد من تلك المرأة لم تشعر بمثلها تجاه أي كان في حياتها. فكم يكون الأمر رائعاً أن يكون للمرء شخص يهتم به ويغار عليه، ويثق بمحبته، ويجده إلى جانبه كلما دعت الحاجة، ويمكن الاتكال عليه وفي أقسى الظروف. هزت رأسها بيأس وأسى على السنين الطويلة التي أضاعتها من عمرها.

هل كان هذا فعلاً ما تظنه بالعلاقة بين الرجل والمرأة في أن تتكل المرأة على الرجل؟

لا، بالطبع، ليس هذا ما تعتقده، انما وفي بعض الظروف

المعينة وحيث تكون المرأة في أشد حالاتها من اليأس.

تنهدت وين وركزت نظرها على شاشة الكومبيوتر أمامها، ضغطت على بعض المفاتيح المعينة لتعيد النظر في بعض حجوزات الفندق للأسبوع المقبل.

انهمكت في العمل طول الصباح وبعد ذلك خرجت لساعة من الزمن لتقوم ببعض المشتريات المنزلية. وكانت قد قررت ان تعد هذا المساء العشاء المفضل لدى شارلي. وبعد تناول العشاء، سيذهبان معاً سيراً على الأقدام في نزهة طويلة، وبمفردهما، وخاصة وأن جايمس قد رافقه طوال هذا اليوم. وأضافت إلى مشترياتها البسكويت الذي يفضله شارلي ويطلبه دائماً، وقد تجاهلت الصوت الذي علا في داخلها حول أهمية اختيار الغذاء الأصح لابنها، ومن تصرفها الشاذ والمريب الذي تحاول فيه رشوة شارلي لتعيده إلى أحضانها.

وبينما كانت تنتظر دورها في محل المواد الغذائية لتدفع ما يتوجب عليها، عاهدت نفسها في ألاّ تفكر بالطريقة التي يعتمدها الرجل بدهائه الشديد، في تدمير وتحطيم المرأة واستغلال ضعفها باستمتاع كبير، وهذا ما يفعله جايمس الآن وبطريقة ماكرة وذكية. إنه يتلاعب بمشاعر وين، ليس ذلك فحسب، بل بمشاعر شارلي أيضاً.

كانت دائماً ولسوء حظها تختار الصف الغير مناسب لتدفع ثمن مشترياتها، وسمعت سيدتين تتنهدان بنفاد صبر بينما تم استبدال أمينة الصندوق بغيرها.

وسمعت احدى السيدتين تقول للأخرى: «طبعاً تعلمين بالخبر. لو أنها لم تترك بول، لما حصل شيء من ذلك.

فمهما كان رأيك في الموضوع، أقول لك بأن الولد يحتاج إلى الوالد، خاصة عندما يبلغ هذا العمر. أنا لا أعني أن ستيفي لم يكن متطلباً بعض الشيء، انما هي المرة الأولى التي تتدخل فيها الشرطة منذرة، لكن وكما قلت لها ذات مرة...»

تضايقت من الكلام الذي تفوهت به تلك السيدة والذي سقط كالصاعقة على رأسها، فابتعدت عنهما بسرعة كي لا تسمع المزيد عن أهمية الآباء في حياة الأولاد.

لكن ماذا عن الآباء الذين دمروا حياة أولادهم؟ أو عن الآباء الذي غرسوا في عقول بناتهم الغرور والابتعاد عن الرجل الذي لا يهمه منهن سوى علاقات عابرة، ولا شيء عدا ذلك؟ ماذا أيضاً عن الآباء الذين علموا أبناءهم بأن المرأة غير قابلة لأن تعامل باحترام وتعد في المرتبة الثانية. والأسوأ من ذلك، أن الرجال علموا أبناءهم وبناتهم بأن المرأة، وحسب المقولة القديمة نوعان: السيدة الطاهرة، والغانية اللعوب؟ ماذا عن الآباء الذين يسيئون معاملة أولادهم ويحرمونهم كل حق من حقوق الانسان المعترف بها؟

انتبهت وين أخيراً، أن أمينة الصندوق تنتظر منها أن تفرغ مشترياتها من العربة، وان الصف الطويل من ورائها أخذ يتمتم متذمراً منها. وبخجل شديد أخذت تفرغ ما في العربة بيدين مرتجفتين.

بالطبع، وكما يحصل دائماً عندما يكون المرء على عجلة من أمره، كما هي الحال مع وين الآن، كانت حركة السير سيئة للغاية. لقد فاتها أن تقرأ في جريدة اليوم عن البدء

باصلاح الطريق العام للبلدة. أخذت تلعن نفسها بينما السير يتقدم ببطء شديد، لأنها لم تتخذ الطريق الفرعية لتصل إلى بيتها. صحيح أنها أطول مسافة، انما كانت وفرت عليها توتراً وعصبية، ولما كانت توقفت وراء شاحنة قديمة مثل هذه التي أمامها والتي يخرج منها سحب هائلة من الدخان.

أرادت وبيأس شديد أن تصل إلى البيت قبل أن يصل شارلي، لأنها ومنذ أن بدأت عملها في فندق توم، ازدادت حياتها انشغالا، الأمر الذي جعل شارلي يعتقد بأنه لم يعد الشيء الأهم في حياتها.

وذلك ليس سببه بأنه الفتى الوحيد الذي تعمل والدته دواماً كاملاً، وليس بالتأكيد هو الفتى الوحيد الذي يحيا مع أحد الوالدين، بل من التقلبات التي نشأت بينهما منذ أن بدأت تعمل في الفندق الذي يملكه توم والذي لا يتحمله ولا بشكل من الأشكال.

لقد كانت قبل عملها في الفندق، تقوم بالطبع على الآلة الكاتبة في البيت، والتي يكلفها بعض الأشخاص بإنجاز بعض الأعمال لهم. وكانت دائماً تتواجد في البيت تنتظر عودة شارلي من المدرسة لترحب به، وذلك اذا لم يتسنّ لها احضاره بنفسها، فتقدم له كوباً من الحليب مع البسكويت المفضل لديه والمصنوع في البيت، وتجلس معه بعض الوقت لتستمع إليه كيف قضى يومه في المدرسة.

كان من عادتها وقبل عودة جايمس، أن تذهب إلى هيزر وتصطحبه من هناك، فتعد له احدى الوجبات السريعة، وتصغي إلى ثرثرته حول يومه في المدرسة، بينما تقوم ببعض الأعمال المنزلية المتراكمة عليها.

وكانت تحب عملها الجديد في الفندق، تحب الاستقلالية الذاتية التي منحها اياها، وقد جعلها تشعر بأنها نالت حقها من هذه الحياة، خاصة انه أعاد إليها ثقتها بنفسها كعنصر فعال في هذا المجتمع.

تنفست الصعداء أخيراً بعد أن حلت مشكلة هذا الازدحام الخانق.

وتساءلت وقد انطلقت بسيارتها، إلى أي مدى سيؤثر قطع علاقتها مع توم على العمل؟ هل يتوقع منها أن تستقيل؟ انه من المؤكد لن يعيرها أي اهتمام وسيواصل مشاريعه العملية تاركاً اياها تتصرف على هواها وتواجه مسؤولياتها بمفردها. لكن ومن ناحية أخرى، ماذا لو أن جايمس تحدّى حكم المحكمة بحضانتها لشارلي وابعدها عنه؟

لقد تبدلت وتغيرت الأيام منذ أن كان يحكم القاضي وبصورة آلية بأن الحضانة من حق الأم وحدها، وبالأخص الآن. فجايمس رجل ثري يستطيع أن يوفر لشارلي الحياة المستقرة والمترفة، حتى أنه يمكنه في هذه الحال الزواج من جديد.

ارتعش قلبها وقد وصلت بتفكيرها إلى هذا الحد، وأمسكت بمقود السيارة بشدة وكأنها تريد أن توقف جايمس عن فكرة الزواج بامرأة أخرى. لكن لماذا فكرة زواج جايمس تزعجها إلى هذا الحد؟ هل لأنه قد يختار امرأة أصغر سناً منها تشع نشاطاً وحيوية وتكون أكثر مرحاً منها؟ تتواجد في البيت دائماً ولا تعمل خارجاً، وتقوم بدور الأم الحقيقة تجاه فتى قد أصبح في سن المراهقة.

تنهدت بارتياح عندما وصلت أخيراً إلى بيتها. لم تجد سيارة جايمس متوقفة هناك، فبقليل من الحظ يمكنها أن

تعد طعام العشاء بسرعة، وان تهدىء من أعصابها المتوترة لتصغي إلى شارلي وهو يحدثها عن مشواره الطويل مع جايمس.

كان الفراغ والهدوء يلفان أرجاء المنزل، فاقشعر بدنها وانقبض صدرها. هذا الشعور ليس سببه تغيب شارلي عن المنزل، فهو عادة وعندما تتأخر في عملها ينتظرها عند هيزر أو عند أحد أصدقائه الكثر، وهذا ما كان دائماً يطمئن قلبها ويطيب خاطرها. لكنها وما أن باشرت في اعداد الطعام، حتى شعرت بشيء ما جعلها تضطرب وترتعش بشدة.

انها لم تكن مشتاقة لأن تسمع وقع خطوات شارلي يقفز السلالم صعوداً ونزولا بلهو وبمرح، انما كانت بشوق كبير لسماع صوت جايمس الصارم والحازم ولحضوره المميز.

هل انها حقاً تشتاق إليه؟ وبعد أقل من أسبوع على عودته؟

هذا مستحيل! لكن لماذا تشتاق إليه، خاصة أنه آخر شخص تتمناه أن يعيش معها. لقد دمر علاقتها بإبنها شر تدمير، لتصبح هي في واد وإبنها في وادٍ آخر، وافقدها ثقتها بنفسها لدرجة أنه جعلها تعتقد بأن صديقتها هيزر بدأت تشك في قدراتها كأم تصلح لحضانة شارلي.

أخذت تهدىء من انفعالاتها وتكلم نفسها، انه لو بقيت على هذه الحال فقد تصاب بالجنون المحتم. وضعت ما أعدته في الفرن ونظرت إلى ساعة يدها. لقد حان موعد عودتهما الآن، فلشارلي شهية جيدة وليس مثل والده يمكنه ان يفوت عليه احدى الوجبات.

الا اذا... تصلبت أعضاء وين فجأة، ولوت تقاسيم وجهها باشمئزاز وغضب. ماذا لو قرر جايمس أن يكمل يومه وشارلي خارجاً ليتناولا العشاء في أي مكان؟ لكن لا. من المؤكد انه يعلم بأنها تنتظرهما، ولقد أمضى مع شارلي يوماً كاملاً لم تتمكن هي نفسها منذ عدة اشهر أن تمضيه معه.

هل من حقها بعد ذلك أن تلوم شارلي لو أنه فضل رفقة والده أكثر منها؟

أدركت وبوضوح تام أن شارلي على حق في أفضليته رفقة والده أكثر منها، كيف لا وجايمس يمنحه كل أوقاته، بينما والدته دائماً مشغولة، وتعمل طوال الوقت... وتخرج دائماً مع توم.

اضطربت وين من أفكارها تلك، ولمعت في رأسها فكرة أخرى. من المؤكد أن جايمس سيمل ويتعب من لعب دور الوالد الحنون، وسيبدأ بتجاهل شارلي تماماً كم فعل وهو طفل، لكن كيف ستكون ردة فعل شارلي، خاصة أنه لم يبلغ بعد سن الرشد، ولا يطلب منه أن يدرك ويفهم الأمور على حقيقتها.

عادت تنظر إلى ساعة يدها من جديد، ودهشت عندما وجدت أنه لم يمر سوى عشر دقائق منذ أن نظرت إليها آخر مرة. عجباً كيف أن الوقت يمر بهذا البطء عندما تكون تنتظر احدهم.

دخلت إلى غرفة الجلوس لتعيد ترتيبها في محاولة منها لقتل الوقت في فترة الانتظار، وهالها ما رأته عندما فتحت الباب.

كانت الغرفة مرتبة بشكل وافٍ. المجلات والكتب مرتبة ومنظمة في أماكنها، وقد أزيل الغبار عن السجادة والأثاث. كما أن الألعاب والأفلام الخاصة بشارلي والتي تبقى عادة

مبعثرة في كل مكان، أعيدت كلها إلى أماكنها الخاصة بها، حتى الأزهار الذابلة رفعت من المزهرية ليحل مكانها أزهار جديدة عطرة.

أخذت وين تمعن النظر في الطريقة الغير بارعة في تنسيق هذه الأزهار، الأمر الذي جعلها تتذكر تلك الليلة وبعد أن أعلنت لجايمس بأنها حامل. كانت وقتها خارج المنزل في مكان ما، ربما في زيارة والدتها، وكانت قد عادت إلى المنزل وهي تشعر بالتعب والألم في كل انحاء جسمها. تتقاذفها الظنون والشكوك، تحن تارة بألم شديد إلى حياتها السابقة قبل أن تتعرف إلى جايمس، وتارة أخرى تتألم متمنية لو يقول لها بأنه ما زال يحبها كما أحبها أول مرة وان يقول أيضاً انه يريد الطفل كما تريده هي.

دخلت يومها إلى هذه الغرفة بالذات تتوقع أن تراها في حالة كبيرة من الفوضى وعدم الترتيب كما تركتها قبل أن تخرج، فوجدتها كما وجدتها الآن نظيفة ومرتبة، وفي المزهرية وُضعت أزهار جديدة كان قد اشتراها لها جايمس عندما أظهرت اعجاباً شديداً بها.

وقتها أيضاً أخذت تمعن النظر بهذه الأزهار، وقد شعرت بالجفاف الشديد في حلقها وبالثورة والغضب. وعندما نزل جايمس من الطابق الأعلى ودخل إلى غرفة الجلوس، نظرت إليه بعداء شديد بدلاً من أن تظهر له حبها كعادتها وقالت: «آه، فهمت قصدك... تريد أن تشعرني بالذنب لأنني لم أبقَ في البيت لأقوم بواجباتي المنزلية. حسناً، لا يهمني ما تعتقد يا جايمس. لا يهمني على الاطلاق، كما وانه لم يعد يهمني أمرك أنت أيضاً.»

وصعدت بثورة وغضب إلى الطابق الأعلى ورمت بنفسها على السرير وهي ترتجف من تأثير ما قالته وفعلته. وتمنت في سرها أن يلحق جايمس بها ليطيب خاطرها، لكنه لم يفعل، بل خرج من البيت واقفل الباب وراءه بعنف شديد.

كانت تستلقي على سريرها لا يعرف النوم اليها سبيلا عندما عاد جايمس، فلم يتكلم معها ولم يعرها أي اهتمام.

تنهدت وين وعادت بأفكارها إلى حيث هي الآن، وبخفة أخذت تلمس الأزهار في المزهرية. انها تحتاج حقاً إلى إعادة تنسيق، فحملتها إلى المطبخ.

ليس من سبب يدعوها لتسأل جايمس عن السبب الذي دعاه إلى شرائها، فمن المؤكد انه لم يفعل ذلك ارضاء لها.

وعندما انتهت من اعادة تنسيقها بشكل لائق يلفت النظر، اعادتها إلى مكانها في غرفة الجلوس، التي مع كونها ضيقة، جميلة ومريحة، فقد أعادت تجميلها مع شارلي السنة الماضية، كما أنها أعادت طلاء جدرانها بلون خفيف فاتح يريح النظر.

وجاءت بستائر وأغطية جديدة للأثاث أيضاً، مع أنها عندما تزوجت من جايمس، استاءت وانزعجت من الأثاث الموجود حينها لأنه قديم ومستعمل وقد قدمه لهما عائلتها وعائلة جايمس. بينما كانت تفضل هي الأثاث الحديث الطراز، انما الآن، انه يسعدها ويمتعها عندما تزيل الغبار عن خشبه الثمين، وتبتهج نفسها في رؤيته يشع نظافة ولمعاناً. وباتت تقدر قيمته وجودة صناعته التي تعود إلى أيام جديها.

قطبت حاجبيها عندما نظرت من النافذة، فلم تر أي دليل لعودة جايمس وشارلي.

كانت الساعة قد تجاوزت التاسعة الآن، والوجبة التي أعدتها، كان قد مضى عليها فترة طويلة، فاخرجتها من الفرن ووضعتها جانباً. لقد نفد صبرها وحل مكانه الغضب والقلق، فتوجهت بنظرها إلى الهاتف وهي لا تدري ماذا تفعل. اضطربت وارتعشت، تماماً كما يحصل مع كل شخص تأخرت عودة من هم اعزاء على قلبه، فيمتلىء رأسه بالهواجس والشكوك خاصة من حوادث السير المتكررة.

فلو أن شيئاً من هذا قد حدث، لكان وصلها الخبر السريع، بواسطة أحد ما... أو بواسطة الشرطة.

لماذا لم يتصل بها جايمس ليبلغها بأنه سيكمل يومه مع شارلي؟ كانت تعلم أنه لا يملك هاتفاً في السيارة كأي رجل أعمال آخر، لكن هناك هاتفاً للعموم في كل مكان، وهل يعقل أن كلاهما، شارلي وجايمس، نسيا بأنه من الواجب عليهما الاتصال بها؟

ثم أخذت وبتوتر شديد، تنتظر رنين الهاتف، لكنه بقي وبعناد شديد ساكناً. ربما عليها أن تتصل بالشرطة... ربما...

لكنها سمعت وفي لحظاتها الرهيبة هذه، هدير سيارة مقبلة. أسرعت إلى نافذة غرفة الجلوس. كم كانت سعادتها وفرحتها كبيرة عندما شاهدت سيارة جايمس تقترب لتقف وراء سيارتها الصغيرة. كانت سعادة لا توصف وكادت أن تطفر الدموع من عينيها، لكنها شعرت في نفس الوقت بالغضب يغلي في داخلها، وذلك لرؤية طريقة شارلي الهادئة والباردة عندما خرج من السيارة وتبعه جايمس في ذلك، ومن ثم توجها نحو البيت.

فتحت الباب قبل أن يصلا إليه سألت معنفة: «أين كنتما؟»

وتلاشى غضبها مع كلمات جايمس الهادئة وهو يعتذر منها، وكأنما التأخير كان لبضع دقائق وليس لبضع ساعات.

«آسف لهذا التأخير، لكننا تعرضنا لحادث مزعج على الطريق العام.»

حادث مزعج؟ أحست بأنفاسها تلتهب وقلبها يتألم، فتحول ناظريها إليه تريد أن تنتقده بقسوة، فوجدته يهز رأسه وينظر إلى شارلي نظرة ذات معنى، بينما كان هذا الأخير يحني برأسه إلى الأرض.

ولأول مرة في حياتها، وجدت شارلي هادئاً على غير عادته. ولما نظرت إليه محدقة، وجدته شاحباً أصفر اللون.

فتساءلت بهلع شديد، هل هو مريض؟ وهل كان هذا سبب تأخيرهما؟

عند ذلك، ودون أن يكلمها شارلي كلمة واحدة، أسرع بالابتعاد عنها بخطوات متعثرة. أخذ يصعد السلالم إلى الطابق الأعلى، فاحتارت بأمره بينما أخذت تنظر إليه بأسى وحزن شديدين. لكنها وعندما حاولت أن تلحق به، أوقفها جايمس وقد وضع يده على كتفها.

قال لها: «اتركيه.»

هل قال اتركيه؟ وعكست عيني وين كل ما كانت تشعر به في داخلها.

أضاف جايمس: «انه يحتاج لبضع دقائق مع نفسه، فقد حصل حادث مروع على الطريق العام، ولسوء الحظ أن شارلي شاهد الكارثة البشرية من جراء تلك الحادثة، وسببه أن سيارة أمامنا كانت قد تجاوزت السرعة القانونية، وكما تعلمين ان الطريق ليست كما يجب.»

www.elromancia.com

«ماذا حصل؟» سألته وين، بينما كانت ما تزال نظراتها متوجهة نحو السلالم، فعليها أن تكون مع شارلي الآن، بل أنها تريد أن تبقى إلى جانبه. انها والدته، وهو يحتاج إليها في هذه الظروف...

وكأنما قرأ جايمس ما كان يجول بفكرها، فقال لها بهدوء: «انه لم يعد طفلاً، أو لنقل أنه لا يعترف بذلك. دعيه مع نفسه يفكر ويتخلص من الأمور التي تواجهه في حياته اليومية يا وين. لقد أصيب بصدمة عنيفة، لكنه أصبح في سن عليه أن يدرك فيه أن الرجال لا يبكون.»

كررت وين سؤالها بينما أخذت ترتجف باعياء شديد: «ماذا حدث؟»

أجاب جايمس: «انزلقت هذه السيارة المسرعة نحو سيارة أخرى لتنفجر بعد ذلك وتندلع النيران بكثافة، ولم يكن بوسع احد أن يقوم بأي شيء، فتوقفت عند حافة الطريق، ثم استعملت هاتف الطوارىء لأبلغ المسؤولين والاسعاف... حاولنا، أعني أنا وسائقون آخرون تقديم المساعدة، لكن ألسنة اللهب... ليس بإمكانك أن تدركي كم تمنيت لو أن شارلي لم يكن برفقتي.» وأبعد وجهه عنها بألم، فلاحظت وين بأن قسماً من سترته قد أحرقتها النيران، وأن يده ربطت بضمادة.

قال لها ليصرفها عن النظر إلى حالته: «هذا لا شيء، فقط حرق بسيط. كان علي أن اكلمك، انما ذلك كان مستحيلاً، لأنني اضطررت أن أبقى لأدلي بافادتي.»

أخذ يفرك فروة رأسه، وظهر التعب والاعياء جلياً على وجهه، ثم تابع يقول: «عائلة بأكملها توفيت في احدى

السيارتين، الأم والأب وطفلان صغيران، بينما توفي في السيارة الأخرى صبيان آخران. يا للهول! لماذا يجب أن يحدث كل ذلك؟»

أجابته وين: «لقد قلت انهما كانا يقودان سيارتهما بأقصى سرعة.» على أية حال لا جدوى من الكلام الآن، فقد حصل ما حصل وانتهى الأمر.» كانت وين ما زالت مندهشة من الكلام الذي قاله وصوره لها، خاصة أنه وشارلي كانا قريبين جداً من هذا الخطر، فشكرت القدر على نجاتهما من هذه الكارثة.

«نعم، كان كذلك. لكن هل سيساعد هذا على تهدئة خواطر عائلتهما؟ وهل تعلمين بماذا كنت أفكر ونحن في طريق العودة؟»

نفت وين بحركة من رأسها، فتابع يقول: «نظرت إلى شارلي وتصورت ما كنت قد أشعر به لو أن أحدهم دق بابي ليقول لي بأن ابنك قتل في حادث سيارة... مات بهذه الطريقة البشعة وأنا والده، الذي شجعه ووافقه على ما يريده. كيف تصل الأمور احياناً مع المرء إلى هذا الشكل؟»

لم تستطع وين التفوه بكلمة واحدة، فالألم في نبرة صوته أرعبها وعقد لسانها.

ثم قال بقرف: «أريد أن استحم، فدخان الحريق يملأ انفي.»

لكن وين فهمت أنه لم يقصد بكلامه بأنه يريد أن يزيل رائحة الدخان، بل رائحة الموت.

فقالت بصوت مخنوق: «ولكن شارلي. هل يجب أن...»

قاطعها جايمس بسرعة وقال: «اتركيه هذه الليلة. دعيه يخبرك بالذي حدث متى كان مستعداً لذلك.»

ولاحظت بعد أن تركها ليصعد إلى الطابق الأعلى، أنها ولأول مرة تستشيره وتطلب رأيه، كأنما تسأله أن يتقاسما المسؤولية تجاه ابنهما. وليس هذا فقط، انها تشعر بحاجة ماسة إلى نصيحته.

ارتجفت قليلاً وشبكت ذراعيها وهي تحاول بيأس ألاّ تضع نفسها مكان الأشخاص الذين عرفوا بالمأساة الأليمة، وسرق الموت اعز الناس على قلوبهم.

مرّ بعض الوقت قبل أن يعود جايمس إلى الطابق الأسفل ومن ثم توجه إلى المطبخ، حيث وجدها تقف جامدة في مكانها تحدق في اللاشيء، تفكر بسنوات شارلي منذ ولادته، وتتصور الحالة التي ستكون عليها لو أنها سمعت هذه الليلة بوفاته.

قال جايمس: «شارلي في سريره الآن، وما زال يعاني من تلك الصدمة. كم تمنيت لو أن شارلي لم يكن برفقتي. أعلم أنني لن أتمكن من نسيان ما حدث.»

أردفت وين لا شعورياً: «الأولاد ينسون بسرعة، وشارلي ما يزال فتي يافعاً. لا أعتقد أنهم يتصورون الأمور كما نتصورها نحن.»

«تعنين أن شارلي لن يستفيق من نومه هذه الليلة، ليفكر كيف يمكن أن يشعر لو حدث مثل هذا الشيء لابنه، أو لزوجته في المستقبل؟ ربما لا، لكنني ما زلت أتمنى لو أنه لم يشاهد كل ذلك، لو أنني لم أدعه يقنعني بتلك النزهة الأخيرة...»

«الذنب ليس ذنبك.»

ما الذي تفعله؟ سألت وين نفسها بدهشة، لماذا تؤكد له

أن الذنب ليس ذنبه وتحاول أن تريحه من عذابه؟ لماذا لا تواجهه كما واجهها في مناسبات عدة؟ لماذا لا تتركه يشعر ما معنى ان يكون الوالد مذنباً تجاه ابنه؟ لكنها كانت تدرك أنه لا يمكنها أن تغير هذه المأساة وتحولها حسبما تقتضيه مصلحتها، حتى لو أن مصلحتها في أن تفوز بشارلي.

لاحظت أن جايمس ينظر إليها نظرات طويلة ذات معنى، فتدفق الدم حاراً في عروقها لسبب تجهله.

قال بلطف: «شكراً. يدهشني انك ما زلت على ما كنت عليه.» لكن الدهشة لم تكن بادية عليه، بل الاكتئاب الشديد. وأردف بعد ذلك قائلاً: «لقد كان يوماً طويلاً وشاقاً، سأذهب للنوم باكراً.»

الفصل الثامن

استيقظت وين من نومها مذعورة على صراخ شارلي متعثرة بخطواتها إلى غرفته. فتحت الباب وهي في حالة شديدة من القلق والخوف على ولدها، وأسرعت تجلس إلى جانبه، وقد تذكرت حادثة مماثلة حدثت له عندما كان أصغر سنا.

عندما دخلت الغرفة وجدته غارقاً في نوم عميق. ولكنها وعندما لامست جبينه بحنان ورقة، أفاق من نومه ونظر إليها نظرات ثابتة. كانت الدموع تملأ عينيه، ولم يكن في وسعها الا ان تضمه إلى صدرها وتشعره بالأمان من الكوابيس والمخاوف التي تملأ رأسه.

ثم أخذ وبكلمات متقطعة يروي لها وقائع ذلك الحادث المشؤوم، فضمته أكثر إلى صدرها. إنها ومنذ فترة طويلة لم تضمه إليها بهذا الشكل، وقد أذعنت وأجبرت نفسها على احترام طلبه في الابتعاد عنها. ولكنها الآن، صدمت وقد أدركت كم تغير جسده، فصار أقرب إلى الخشونة من النعومة والطراوة التي كان يتمتع بها عندما كان طفلاً، فشعرت بوخز في قلبها، لتدرك كم وبأية سرعة كان ينمو ويكبر ثم يبتعد عنها بعد ذلك. الآن، وهذه الليلة بالذات، يبدو عليه انه يحتاج إليها، مع أنها كانت تشعر بأنه يكافح ويكابد كي يهدىء من نفسه دون مساعدتها. وعندما بدأ يتحرك ليبتعد عنها، سمحت له بذلك.

فعل ذلك بغريزة الرجولة التي تكمن في ذاته وليس من

أجل سبب آخر. ومما لا شك فيه، انه يشعر بالحرج والغضب من نفسه لاستسلامه لعواطفه، ما جعلها تقول بهدوء وكأن ما حدث لم يكن بالشيء المهم: «لقد أخبرني والدك كم كان فخوراً بك يا شارلي، وبالطريقة التي تصرفت بها.»

وفوجئت بمن يقول من خلفها: «نعم يا شارلي. كنت كذلك.»

بغتت وين والتفتت إلى الوراء، لتجد جايمس في الغرفة. ولكن متى دخل عليهما؟ وتمكنت من رؤية وجهه بواسطة الضوء المنبعث من الشارع إلى الغرفة، فعادت ذكرياتها معه تتلاحق في رأسها بسرعة البرق وتتذكر كيف كانت تهرع اليه كلما عاد من عمله لتعبر له عن مدى اشتياقها إليه.

وكان هو بالمقابل يهمس في أذنها أعذب الكلمات وأصفاها ويسألها كيف أمضت يومها وهو بعيد عنها، وكالطفلة الصغيرة كانت تخبره بكل شاردة وواردة. ولكنها ومع ذلك لم تكف لحظة واحدة عن التفكير به، فيبتسم لها ابتسامات عذبة وحنونة تنفذ إلى أعماقها.

دهشت من نفسها ومن أنانيتها لأنها سمحت لنفسها بالتفكير بكل ذلك، بينما ابنها الوحيد يعيش فترة صعبة من الألم والعذاب. وسمعت جايمس يتكلم، لكن كلامه كان موجهاً إلى شارلي وليس اليها.

تقدم جايمس وجلس قرب شارلي قائلاً: «كنت فخوراً بك هذه الليلة يا شارلي، ولكنني في هذه اللحظة أكثر فخراً بك.»

نظر شارلي اليه وفي نفسه حاجة ملحة لأن يخفي دموعه التي همت بالتساقط على خديه.

وتابع جايمس كلامه قائلاً: «ويصعب على الرجل ان يعترف بأن هناك ثمة أمور في هذه الحياة مؤلمة قد تدفعه

إلى البكاء. ففي هذه الأحوال يفزن النساء علينا يا شارلي. انهن لسن ضعيفات ويخفن من اظهار عواطفهن، ومن الخطأ أحياناً ألاّ نقر ونظهر ما نشعر به.»

ناقض شارلي كلام والده قائلاً: «الرجال لا يبكون.»

ساد صمت بسيط في الغرفة، قال جايمس بعد ذلك: «ولكنك بكيت.»

أمسكت وين أنفاسها بينما كان شارلي ينظر إلى والده مستفهماً. وأدركت بأن شارلي مثلها كان يعلم بأن جايمس ينطق بالحقيقة.

«لا تخش من عواطفك ولا تخبئها ابداً يا شارلي.»

شاهدت وين والدموع تترقرق في عينيها. كيف حضن جايمس ابنه بمحبة وشوق، وكيف تردد شارلي في البداية، ولكنه عاد واستسلم بعد ذلك لحنان والده وعاطفته الجياشة.

خرجت وين بهدوء من الغرفة وأغلقت الباب ورائها، ثم اسندت بجسدها إلى أحد الجدران، وهي لا تصدق ما شاهدته عيناها منذ لحظات قليلة.

هذا ما كانت تتوق وتشتاق اليه منذ سنوات عديدة. يوم كانت حاملاً بشارلي، ويوم ولادته، بأن يحبه جايمس ويظهر له كل الرعاية والاهتمام، ولكن الآن وبما انه...

سمعت بالباب يفتح وشعرت بجايمس يقف وراءها تماماً، فالتفتت إليه لترى عينيه تشعان ببريق غريب. أغلق باب غرفة شارلي ونظر في عينيها قائلاً: «لا استغرب الآن كيف أن صاحب الفندق معجب بك إلى هذه الدرجة. فهل الأمور معكما تحدث مثلما كانت عليه في سنوات زواجنا الأولى يا وين؟»

فاجأها جايمس بسؤاله هذا. فاحتارت في أمرها لبرهة، ولكنها عادت وتمالكت أعصابها لتقول له بصوت مرتجف: «لا يحق لك ابداً أن تطرح علي مثل هذا السؤال. ولمعلوماتك الخاصة، ما يربطني بتوم، اسمى وانبل مما تفكر به.»

ارتبكت ودهشت من نفسها. ما الذي كانت تحاول أن تثبته؟ خاصة انه لم يعد هناك شيء يربطها بتوم.

قال لها: «اذاً، فأنا ارى بأن الأمور ليست على ما يرام كما تخيل لي.»

كلماته الهادئة جعلت فرائصها ترتجف، وكأنها تلومها وتعنفها لأنها ارتبكت وكذبت عليه، فشعرت بالخطر الجسيم الذي أوقعت نفسها فيه، خاصة بعد أن لمست الغرور بنبرة صوت جايمس.

أضاف قائلاً: «عندما التقيت بك، كنت ما زلت فتاة صغيرة... لا بل طفلة.»

وصمت قليلاً ليضيف بعد ذلك بنبرة أكثر لطفاً: «في كل الأحوال، من المعروف أن المرأة لا تكتمل ولا تنضج قبل بلوغها سن الثلاثين.»

شعرت بأحاسيس مختلفة من الشوق والحنين اليه، ولكنها وككل مرة عنفت نفسها وتراجعت عن ذلك، لتقول بقساوة: «لقد تعلمت من اخطائي السابقة يا جايمس. فالذي تلمح به، لم يعد من الأمور التي تهمني في هذه الدنيا.»

كرر قولها متسائلاً: «لا؟»

اجتاحتها موجة عارمة من الشوق والحنين بعد أن تفوه متسائلاً بكلمته الأخيرة. وفي لحظة ضعف عاصفة، وجدت

www.elromancia.com

نفسها تلقي برأسها على كتفه. كان هناك صراع في داخلها يتجاذبها. عقلها الذي يحاول ان ينصحها ويثنيها عن التجاوب معه، وقلبها الذي يطلب منها، بل يتضرع اليها أن لا تفترق عنه.

وهمس في أذنها وهي في هذه الحالة المتأرجحة: «هل ترتاحين على كتفه على هذا النحو يا وين؟» فعصفت بها الذكريات من جديد، وتذكرت كم هي بحاجة إليه وتريده أكثر من أي رجل آخر. وتساءلت كيف يحصل لها كل ذلك وهي التي كانت تعتقد بأنها رمت بمشاعرها نحوه عرض الحائط ولم تعد تجد فيه فارس احلامها.

هتف في داخلها نداء يلح ويطلب منها أن تبعد نفسها عنه، لكن حواسها كلها رفضت أن تذعن إلى ذلك الهاتف، بل طلبت منها بألاّ تنفصل عنه.

عادة، ولا يمكن الجزم في ذلك، لا تنس المرأة الحب الأول في حياتها، وهذا ما هو حاصل مع وين. حاولت وهي تشعر بدوار شديد في رأسها أن تقول له وتذكّره بأنهما لم يعودا حبيبين، بل عدوين.

لكنها كلما حاولت أن تتفوه بهذه الكلمات، كانت تجد نفسها عاجزة عن ذلك وتكتفي بأن تهتف بإسمه برقة وعذوبة بدلا عن ذلك.

وعاد الحنين إليها يعصف بقلبها بالم، ثم أخذ ينطق باسمها على نحو متقطع: «وين... وين...»

كان بامكانها أن تسمع نبضات قلبه فكأنه يحاول أن يوصل إليها رسالة ما. حاولت جاهدة أن تذكّر نفسها بالأسباب التي تمنعها عن مجاراته، وبأنه عليها مقاومته

وايقافه عند حده. يجب ألاّ يحدث ذلك. يجب ألاّ تكون معه. انه عمل خاطىء وخطر، لأنه سيؤذيها مرة أخرى وبالطريقة التي أذاها بها سابقاً.

أخذت هذه التنبيهات تدور في رأس وين كالمقطع الذي يتردد في كل أغنية، لكن قلبها أبى أن يصغي إلى نداءات عقلها. وبجزع شديد، حجبها عنها منذ سنوات طويلة.

انها ما زالت تحبه.

هذه المعلومة كانت بمثابة ريح باردة على صدرها. لقد أضعفت ارادتها القوية وقدرتها على حسم الموقف، بينما كان يتابع يهمس الكلمات الرقيقة والعذبة في أذنها.

انها نفس الكلمات التي كان يهمس لها على مسامعها منذ زمن بعيد، يتغنى بجمالها وجاذبيتها، وذلك طبعاً قبل ولادة شارلي.

قال جايمس أخيراً: «والآن، قولي لي بأنك ستتزوجين من رجل آخر، وأنك ستمنحين ابني أباً آخر. انت تعلمين يا وين، بأن شارلي لا يريد أن يشارك صاحب الفندق حياته اليس كذلك؟»

شعرت فجأة بأنها باردة كالثلج، وكلمات جايمس تقع كالصاعقة فوق رأسها.

اذاً جايمس لم يتقرب منها لأنه كان يريدها هي فحسب، فقد استطاع أن يخدعها، ولغبائها الشديد صدقته. ولم يتصرف برقة معها مدعوماً بعاطفته المتألمة للحادث المشؤوم الذي رآه شارلي والصدمة التي تلقاها منها، لقد فعل ذلك فقط ليضعفها ويذلها.

وتساءلت، وخاصة بعد ما حدث لها الآن مع جايمس، هل

ما زالت تريد الزواج من توم؟ فابتعدت عنه قليلاً تحاول أن تنسى رقته معها. وأحست بحاجة ماسة إلى البكاء والنحيب، لكن كرامتها منعتها عن ذلك. انها لم تعد طفلة بعد الآن لتغلق باب غرفتها ولتستسلم للبكاء لأنها اكتشفت بأنه لم يعد يحبها.

ثم قالت وهي ترتجف بشدة: «أعرف ماذا تنوي فعله يا جايمس، لكنني أقول لك بأنك تضيع وقتك.»

حاول أن يستوقفها، ولكنه تمنع فجأة عن ذلك، وبدا وجهه شاحباً وقد اختفى عنه لونه الطبيعي كأنه تأثر من صدمة أو من ألم ما.

وعندما شاهدت وين شحوب وجهه، أصرت ان ما تراه ليس سوى أوهام، فابتعدت عنه بخطوات متعثرة والتفتت إليه بعد ذلك فجأة. وهي تقول: «أعرف تماماً ما السبب الذي دعاك لتعود إلى هنا، والذي تأمل في أن تحققه، ولكنك لن تنجح.»

«وماذا بعد ما حصل الآن؟» سألها جايمس باضطراب وانزعاج لم تعرهما اي اهتمام.

أجابت: «اعتبر انه لم يحصل شيء بيننا.»

وتوقعت منه أن يهزأ ويسخر منها وأن يعيرها بضعفها أمامه، لكنها ارتاحت وهدأت نفسها عندما لازم الصمت وهو ينظر إليها بثبات.

الفصل التاسع

«أعيد عليك السؤال، ماذا بعد ما حصل الآن؟»

«وكأنها لم تدخل التاريخ!»

تفوهت وين بهذه الكلمات وكأنها تقرع بنفسها ناقوس الخطر. ولكن ناقوس الخطر! لماذا؟ للحب الذي لم يكن له وجود من الاساس! وذلك بالطبع من جانب جايمس وليس من جانبها. شعرت بتثاقل أجفانها وتشويش كامل يملأ رأسها، وبانحطاط شديد في جسدها، بينما اخذت تحاول الاستسلام للنوم ولكن دون جدوى.

ايقظت بعد ذلك شارلي من النوم، واحتارت فيما لو ترسله إلى المدرسة أم لا، خاصة بعدما شاهدت الشحوب على وجهه، ثم نزلت إلى الطابق الاسفل لتحضر فطور الصباح.

شعرت بجايمس يتبعها إلى المطبخ، ولكنها لم تلتفت نحوه، متعمدة ان تتجاهله وان تتجاهل ذلك الشعور الخفي، والمهم والذي يجذبها إليه. لكن جهودها ضاعت سدى، لأنه لم يكن من السهل عليها ان تتجاهل الألم الحاد الصادر عن قلبها والذي لم ولن يتعلق بأحد سواه.

تساءلت كيف احبته طيلة تلك السنوات دون ان تشعر وتعرف بأنه لا يحبها بالمقابل؟ لقد امضت الليل بطوله تطرح على نفسها هذا السؤال دون ان تجد جواباً له، وتحاول ان تقنع نفسها انه وبسبب سوء تربيتها، وجدته فارس احلامها المنتظر فأحبته بجنون وطيش، لكنها الآن وبعد ان بلغت

سن الرشد، ادركت كم كانت مخطئة في تصورها للحقيقة.

تمنت لو ان جايمس لم يقرر العودة إلى حياتها مع شارلي والتدخل فيها، فقد اوصلها إلى حالة الانزعاج والتوتر لا تجد مخرجاً لهما.

بدا شارلي، حول مائدة الفطور، اكثر هدوءاً ولطفاً، وعندما كان يتكلم، كان يوجه كلامه إلى وين وليس إلى جايمس. ولم تدرك وين في البداية القصد من وراء ذلك، الا عندما سألها اذا كانت هي من سيأخذه إلى المدرسة. فنظرت إليه باهتمام بالغ، حائرة حتى في ان تشعر بالانتصار على جايمس ام لا، لأنه من وراء طلبه ذلك كان يريدها هي وليس جايمس.

ابعد شارلي عنه صحن الفطور وكان لم يتناول منه شيئاً وقال: «هل يمكننا الذهاب الآن؟ اريد ان اذهب إلى المدرسة سيراً على الأقدام.»

سيراً على الاقدام؟ كادت وين ان تتفوه بهذه الكلمات، ومنعت نفسها من ان تنكّره كم كان ينزعج وينفر من الذهاب إلى المدرسة سيراً على الاقدام.

كان بامكانها ان تشعر بجايمس يراقبهما معاً، وكأنه فهم بأنها تواجه بحيرة وضعاً لا يمكنها التخلص منه أو النقاش فيه. وتساءلت، هل يتوجب عليها ان تصر على اصطحاب شارلي إلى مدرسته بالسيارة، أو هل ان تصرفها هذا قد يزيد من الأمور سوءاً وتعقيداً؟ انها تتفهم وضعه وكم انه من المؤلم ان يشاهد المرء حادثاً مروعاً كالذي شاهده، لكن كيف ينبغي لها ان تتصرف مع ردة فعله تلك؟ هل تتصرف معه ببساطة وكأنه ليس من شيء غير اعتيادي في الذهاب إلى المدرسة سيراً على الاقدام وبرفقتها هي؟ أم هل تحاول

التحدث معه في سبب رفضه ومعارضته في استعمال السيارة لهذه الغاية؟

«نعم، نعم، بالطبع يمكننا ان نمشي.» اكدت له اخيراً بهدوء، بينما كانت تشعر بمتابعة جايمس في مراقبتهما.

نظرت إلى جايمس لا شعورياً، ثم تمنت لو انها لم تفعل ذلك، فقد وجدته ينظر إليها مقطب الجبين، وكأنه لم تعجبه طريقتها في معالجة هذا الأمر.

ثم سمعت جايمس يقول بهدوء: «والدتك لم تنته بعد من شرب القهوة، يا شارلي. لماذا لا نذهب...»

قاطعه شارلي قائلاً: «لا. اريد ان تأخذني أمي.»

ذعرت وين عندما رأت شفتا شارلي ترتجفان بألم.

فاسرعت تقول: «هذا لا يهم، فأنا لا ارغب بالمزيد من القهوة. هيا يا شارلي إلى الطابق الأعلى لتنظف اسنانك بينما احضر معطفي.»

لأول مرة ومنذ عودة جايمس، يشعر شارلي بالارتياح لابتعاده عنه. ولم تندهش وين بعد خروج شارلي من المطبخ عندما اقفل الباب جايمس وقال لها: «انك لا تساعدينه ولا بشكل من الاشكال عندما تطيعينه هكذا، كما وانك تعرفين ذلك جيداً. فهذا لن يسهّل عليه نسيان ما شاهده.»

«وماذا يفترض بي ان افعل غير ذلك؟ تريدني ان اجبره على دخول السيارة؟» اجابت وين وهي ترتجف منفعلة، ذلك لأنها كانت تعلم انه على حق فيما يقول، ولكن قلبها لا يطاوعها في ان ترفض له هذا الطلب.

«انك تشجعينه على التعلق بك وعلى الاتكال عليك اكثر. كما تشجعينه على ان يعتقد ان النساء وجدت لارضاء

ولتنفيذ حاجات الآخرين من حولهن. كان بامكانك على الأقل ان تجبريه على انتظارك لتنتهي من شرب القهوة. انك تعرفين بانك لا تساعدينه يا وين... ومن المؤكد ان ذلك سينعكس على المرأة التي قد تشاركه حياته في يوم من الأيام، أو هل تعتقدين بانك لن تدعي ذلك يحدث؟»

الاتهام الصريح والواضح جاء غير عادل وغير منصف. لقد خنق انفاسها في صدرها.

اجابته بعاطفة بالغة: «انك تشعر بالغيرة والحسد. هذا كل ما في الأمر.»

كان فعلاً يشعر بالغيرة والحسد منها، وقد ادركت ذلك من تغير لون وجهه، حتى انه اعترف بذلك فقال بقسوة مريرة: «نعم، انني كذلك. ولكن غيرتي وحسدي ليست سوى نصف ما يحمله صاحب الفندق صديقك. ولا اعجب الآن لماذا ينفر ويتضايق من شارلي.»

ثم اسرع يخرج من المطبخ كالريح العاصف، في الوقت الذي دخله شارلي، وعندما شاهدت امتقاع وجهه واضطرابه الشديد، نسيت بسرعة حيرتها من الكلام الذي تفوه به جايمس قبل قليل.

تأخرت عن الوصول إلى عملها بسبب مرافقة شارلي إلى المدرسة، فبعد ان فعلت ذلك، اسرعت إلى المنزل لتأخذ علاقة مفاتيحها وحقيبتها، ثم استقلت سيارتها لتتوجه إلى الفندق.

كانت بداية اسبوع جديد صعبة عليها مع شارلي. انه يطمع بالكثير وأصبح متطلباً بشكل مستمر، اما جايمس فبات اكثر انعزالاً وانطواءً على نفسه.

اطلعت وين صديقتها هيزر بكل جديد حدث معها عندما ذهبا إلى النادي الرياضي، وبأنها كانت لا تدري فيما لو تبقى هذا المساء في البيت أو توافيها إلى النادي كعادتهما كل مساء اثنين.

ونظرت إلى صديقتها بألم وأسى وهي تقول: «وكاد ان يصيب شارلي نوبة من الغضب والانفعال الشديدين عندما علم بأنني سأخرج هذه الليلة. لا ادري ما هو الافضل لاقوم به يا هيزر.»

سألتها هيزر: «وما الذي يعتقده جايمس؟»

تساءلت وين بارتباك: «جايمس؟»

«حسناً. أليس هو والد شارلي، ولقد قلت بنفسك بأن شارلي يحبه ويعجب به كثيراً.»

«نعم، انه يعتقد بأنه من الأفضل علي ان ابتعد عنه قليلاً واتركه يعالج اموره بنفسه، كما ان لا ادعه يتعلق بي هذا التعلق.»

«اتعنين ان لا تدعيه يسيطر على حياتك ويتحكم بها؟»

سألتها هيزر بقسوة نوعاً ما، بينما كانت تبتسم استياءً.

نظرت وين اليها فجأة وكأنها لم تتوقع منها ان تطرح عليها مثل هذا السؤال.

تابعت هيزر: «آه، هيا يا وين. اننا نعرف بعضنا البعض منذ زمن بعيد، كما ان الثقة متبادلة بيننا اليس كذلك؟ اعرف كم ان شارلي يطمع بك، وهذا امر لا يصعب فهمه، لكنه فتى يتمتع بالارادة القوية وغير معتاد على وجود شخص آخر في حياته سواك. اعتقد انه لا يعجبه من احد آخر ان يشاركه اياك. وهذا الحادث المروع الذي عاش ظروفه الصعبة لحظة

بلحظة، سبب له خوفاً من ان يفقدك انت بالذات، لذا ترينه يتمسك بك بكل قواه، ويرفض اي دخيل في حياتكما معاً.»

اعترضت وين فوراً: «لكنه لن يشاركني معه احد، مع انني كنت اعلم في وقت من الأوقات بأنني وتوم... لكن...»

سألتها هيزر بلطف: «من جاء على ذكر توم؟»

اخذت وين تحدق في وجه صديقتها مستفهمة، ثم تغير لون وجهها عندما تابعت هيزر تقول: «نعم، كنت اقصد جايمس بكلامي. واعتقد الآن، انه بدأ يتضايق من وجود ابيه بينكما، وبدأ يخف حماسه له، كما بدأ يدرك ان جايمس لن يكون لطيفاً ووديعاً معه كما انت، وبأنه لن يهون عليه ابداً ان يبعد والده عن حياتك كما فعل مع توم.»

اجابت وين بجفاف: «ان يبعده عن حياتي؟ ولكنه ليس له مكان في حياتي.»

اشارت لها هيزر مصممة: «أليس يعيش معك في الوقت الحاضر؟ انك ما زلت تحبينه، كما وانك لم تتوقفي عن حبه ابداً، أليس كذلك؟»

اجفلت وين من تصريح هيزر الأخير وسألتها: «هل هذا ما ترينه بوضوح؟»

اجابت هيزر: «ليس تماماً، اعتبريه تخمين. لكنني لا استطيع ان الومك أو اعتب عليك، خاصة وانك عدت ورأيته بعد تلك السنين.» توقفت هيزر عن الكلام لتنظر إلى وين نظرة ذات معنى ثم غمزت بعينها وتابعت تقول: «لا شك انه متألق الجمال.»

ضحكت وين، بينما كان قلبها يئن ويتألم... وذلك ليس لأن صديقتها ادركت بالذي مازالت تشعر به من ناحية

جايمس، لكن بسبب ما قالته لها بخصوص شارلي. انها تعرف صديقتها هيزر جيداً وتقدّر رأيها كل التقدير، وتعلم ايضاً بأنها ابعد من ان تكون غير منصفة أو قاسية في حكمها. لكن لنفترض ان ما قالته عن حالة شارلي حقيقي، اذاً، وفي هذه الحالة، ولأجل شارلي، يتوجب عليها ان تجد طريقة لبقة تساعده بها ليقبل وليفهم بأنه هناك دائماً مكاناً ومحبة للآخرين في حياتهما، ولكن كيف؟

ارتعشت قليلاً للفكرة التي طرأت في رأسها، جايمس وحده دون سواه يعرف كيف يعالج مثل هذا الوضع، وبما ان جايمس يماثله في الجنس والأقرب إليه بين الذكور الذين يعرفهم، فهو المؤهل الوحيد لهذه المهمة الدقيقة اكثر منها هي.

لكن ماذا لو حاولت ان تلقي بهذه المهمة على عاتق جايمس، ألن يدير لها ظهره ويقول لها: «الم اقل لك ذلك؟» الم يكن يحاول وبشتى الطرق ان يستغل ضعفها وقهرها ليفوز بالخطة التي رسمها ليأخذ شارلي منها؟

كانت تعلم بأنه يمكنها، لو كانت ترغب بذلك حقاً، ان تستميل شارلي اليها في ظروفه الصعبة التي يتخبط فيها الآن وتخرجه نهائياً من حياة والده. لكنها كانت تعلم لو انها فعلت ذلك، ستحطم نفسية شارلي شر تحطيم، وبذلك تتوقف خطواته التي بدأ يخطوها نحو النضج والبلوغ. فشارلي يحتاج لجايمس كونه والده.

اخيراً اعترفت واقرت بذلك.

لكن شارلي بحاجة اليها هي الاخرى، وهذا يعني ان الأمر يتعلق بها وبجايمس، في ان يجدا طريقة تجعل شارلي

يرحب بهما هما الاثنان، والأهم من ذلك، ان يتأكدا بأنه سوف لا يعاني من العداء الذي كان بينهما، أو اذا صح التعبير بسبب عداء جايمس لها، لكن الذي كانت تشعر به تجاهه لا يمكن وصفه بالعداء ابداً، كما اشارت اليها هيزر.

هذا لا يعني انها كانت بحاجة لهيزر لتقول لها بما كانت تشعر به تجاه جايمس. فقد عرفت ذلك في اللحظة التي جمعتهما معاً وكان رقيقاً حنوناً معها. مع انها كانت تعرف ايضاً بأنها لم تتوقف عن حبه لحظة واحدة حتى بعد ما ظهر منه من جفاء عند ولادة شارلي وحتى بعد ما لاحظت بأنه لم يعد صادقاً معها. وحتى أيضاً وأيضاً بعد طلاقهما مهما كانت تحاول ان تبعده من قلبها وروحها.

ولأنها لم تستطع ان تنزع ذلك الحب الكبير وتبعده عنها، دفنته في اعماق صدرها واخفته عن الجميع، لتبدأ بعد ذلك باقناع نفسها بانه لم يعد له اي وجود.

ارتجفت وقد وصلت بافكارها إلى هذا الحد، وقالت لنفسها، لو انها لم تحب جايمس، لما كانت حظيت بشارلي.

اخذت تفرك صدغها تحاول ابعاد الألم عن رأسها وتساءلت، لماذا على الحياة ان تكون على هذه الصورة من التعقيد والألم.

الفصل العاشر

صحيح ان وين اقرت بنفسها انها بحاجة إلى نصيحة ومساعدة جايمس، لكن من اين ستجد الشجاعة لتخوض معه في مثل هذا الموضوع الدقيق والحساس، وأيضاً الفرصة الملائمة لذلك.

وذلك لأنها ترى جايمس هذه الأيام بعيداً جداً وبعزلة عن المشاكل التي تتخبط بها بمفردها. انه يبتعد عنها ويتجاهلها كأنه يريد ان يتأكد انها لم تفكر به بالسوء بعد تصرفه الرقيق معها في تلك الأمسية. فاخذت ترتعش وقد تذكرت ذلك، ترتعش بحرقة والم وشوق لا يوصف اليه. لقد شعرت أمامه بالضعف الشديد والانصياع لأوامره. وكانت تعلم حق العلم، لو انها ضغطت على مشاعرها ورمت بها عرض الحائط، لما كانت سمحت لها كرامتها وعنفوانها ان تدعه يقترب منها. ولكن هناك شارلي، واحتياجاته، فمستقبل شارلي اهم بكثير من تلك الكرامة التي تتمسك بها، خاصة وان شارلي كان السبب الرئيسي الذي دفع بجايمس ليعود ويستقر نهائياً معهما.

كما انها لا تشك ابداً بأن جايمس لن يدير ظهره إلى ابنه ويتركه يعاني ما يعانيه من الصدمة والخوف بعد ذلك الحادث المؤلم الذي شهد كل وقائعه... ولا تشك أيضاً من محبته له ومدى اهتمامه به. كيف لا وهو من صلبه ولحمه ودمه. لا، لا. فمن غير الممكن ان يقف جايمس وقفة المتفرج الغريب امام ولده الوحيد.

اضطربت وين للحالة التعيسة التي وصل اليها شارلي حتى بات يتصرف بجفاء ووحشية. انها تشعر بالعجز وكأنها مكبلة بالحديد، غير قادرة ان تدخل إلى اعماق شارلي وتفهمه بأن ما يقوم به عمل خاطىء وغير عادل في الوقت نفسه.

ان الطريقة الشاذة والقاسية التي بدأ يعاملها بها، قد تحولت الآن نحو جايمس. فقد كان في السابق يتمسك ويقبل كل كلمة أو رأي يبديه والده، فاصبح الآن يتجاهله ويتجاهل وجوده كلياً. حتى انه اصبح يمنعه ويتدخل مشين، ان يدعها وحدها مع جايمس، وهذا ما جعل وين تتذكر اكثر تحذيرات صديقتها هيزر لها.

وجايمس... جايمس الذي كان في يوم من الأيام عديم الصبر والعاطفة لبكاء ونحيب طفله الصغير، ادهشها حلمه وصبره اليوم لعداوة وجفاء شارلي، لا بل يبدو عليه انه اقوى صبراً واحتمالاً مما هي عليه لتصرفات شارلي الغريبة.

لقد حاولت ان تتكلم مع شارلي لعدة مرات بخصوص الحادث وبخصوص تصرفاته، ولكن تجاوبه مع محاولاتها كانت سلبية، وباءت بالفشل، مما اجبرها على عدم عودتها إلى محاولاتها ثانية.

عندما اتصلت بها هيزر هاتفياً لتطمئن عنها ولتعرف إلى اين آلت بها الأمور، رثت لحالها وأخذت تواسيها قائلة لها: «اذا احببت، ساجعل ريك يكلمه في هذا الموضوع.»

عرضت هيزر عليها هذه الفكرة، ولكن وين رفضتها رفضاً قاطعاً. انها لا يمكنها ان تتصور كم سيكون وقع ذلك مؤلماً على جايمس نفسه، خاصة بعد ان يعرف ان ابنه الوحيد فضل ان

يبحث مشاكله مع رجل آخر. وبالمناسبة، لماذا يجب عليها ان تهتم وتقلق لما قد يشعر به جايمس؟ انه لم يهتم ولم يقلق مرة واحدة للأذى الذي كان يسببه لها في كل مرة.

ولسوء حظها، باتت امورها اكثر تعقيداً. فمشاكلها لم تتوقف فقط على حياتها اليومية، بل اصابت عملها أيضاً. فقد بدأ توم ينتقد كل عمل تقوم به وبصورة غير عادلة، كما انه وفي كل مرة يكونان فيها في غرفة المكتب بمفردهما، يلقي بعبارات سخيفة هازئة لوجود جايمس يعيش معها تحت سقف واحد.

حاولت وبمشقة ان تكون عادلة في حكمها على ردات فعل توم، لأنها كانت تعلم حق العلم انها لو لم تكن محاطة بهذه الظروف الشاذة، لما كان تصرف معها توم بهذا الشكل. فتقبلت هذا الواقع المرير بجلد وصبر، ولكنه اصبح مؤخراً، يضرب موعداً مع احدى العاملات الجدد والتي لا تجاريها ثقافة وخبرة ومركزاً. والآن وبما ان تلك العاملة قد اصبحت صديقة صاحب الفندق، بدأت تتصرف بقلة احترام مع وين، كما وانها لم تعد تحترم التقيد بنظام اوقات العمل، وتقوم بأخطاء وهفوات لا يقبلها العقل ولا أي مدير عمل.

حاولت وين ان تنبهها بأن مجيئها إلى العمل متأخرة وانصرافها منه باكراً، امر مرفوض وغير مستحب، وبأن ذلك سيغضب زملائها في العمل كونهم سيضطرون إلى تغطية الأعمال لغيابها والعمل مكانها، لكن محاولاتها باءت بالفشل، لا بل وقعت على آذان صماء.

وبعد ظهر هذا اليوم، خرجت تلك العاملة عند الظهر ولم تعد، وكان الفندق في حركة متواصلة من العمل، فاضطرت وين ان تعمل في قسم الاستعلامات مكانها.

بدأت تنهار وتفقد عزيمتها، لكنها شددت من عزمها وقد تساءلت هل يحق لها بأن تكون في مثل هذا النوع من العمل، بينما لم تتوصل بعد على ان تجعل ابنها يفهم الأهمية من قوة الاحتمال والصبر والأخلاق الحسنة، وان يحاول ان يصغي إلى وجهات نظر الآخرين ويتفهمها.

كان الوقت قد تأخر وتجاوزت الساعة السابعة عندما تمكنت من الانصراف من الفندق. كانت في حالة اعياء شديد لدرجة انها قد تفقد اعصابها وتنفجر غاضبة في اية لحظة. وقررت ان تبلغ ليزا في صباح اليوم التالي عواقب من يخالفون قوانين العمل ويتغيبون عنه متى شاء لهم، أو أن تبحث عن عمل جديد لها خارج هذا الفندق، والمقصود الآن وين في ذلك. مع انها كانت تعلم انها لو خرجت من هذا الفندق ستفسح المجال امام ليزا لأن تقول على الملأ انها فعلت ذلك بسبب علاقتها السابقة مع توم، ذلك لأن ليزا كانت من النوع الذي يحب الثرثرة التي لا نفع منها.

خرجت وين من السيارة بإعياء ووهن، ومشت بخطوات متعثرة في الممر المؤدي إلى باب المنزل وفتحته بعد ذلك وهي لا تصدق انها وصلت اخيراً.

كان جايمس وشارلي معاً في المطبخ، وكان هذا الأخير يجلس إلى الطاولة وهو ينظر إلى جايمس بصمت وكان امامه طعام العشاء. وشعرت وين بقلبها يهوي من مكانه عندما رأت علامات العداء والكراهية تنبعث بوضوح من وجهه، والغضب والعناد في عينيه، بينما اطل العزم الشديد على وجه جايمس.

سألت بهدوء محاولة جهدها ألاّ تنفعل وتثور: «ماذا هناك؟»

اجابها شارلي على الفور: «قال انه يجب علي ان اتناول هذا الطعام، وانا لا اريد ذلك.»

ارتعش قلب وين اكثر، ونظرت بسرعة إلى طبق الطعام على الطاولة، فوجدت ان ما فيه هو افضل ما يرغبه ويحبه شارلي من طعام.

قالت له بطريقة آلية: «من مساوىء الاخلاق ان تتوجه للآخرين بكلمة انه أو انها. وعلى اية حال، لماذا لا تريد هذا الطعام؟ انه من الأطعمة المفضلة لديك.»

أجابها شارلي: «انه بارد.»

سمعت وين كيف تنهد جايمس الذي كان يقف في الجهة المقابلة منها، وعلمت بما كان يشعر به حيال هذا الموقف. ولم تلمه في ذلك بل رأت انه على حق. لكن شارلي كان ينظر اليها نظرات توسل، وتمكنت ان تقرأ في تلك النظرات في عينيه حاجته إلى حمايتها وتأييدها، تماماً كما كان يفعل عندما كان طفلاً صغيراً يتكل عليها كل الاتكال.

شدت على اعصابها كي تقسو على قلبها حيال نظراته المتوسلة تلك. ان شارلي يعرف جيداً كيف يحتال عليها ليرق قلبها، كما وانه لم يكن بائساً ولا ضعيفاً ليتكل عليها الآن.

سألته اخيراً: «حسناً. لكن غلطة من هذه؟»

جفلت من الطريقة التي نظر فيها اليها، وكأنها خانته بطريقة أو بأخرى، ويليق لها ان تدعى بالخائنة عن جدارة.

أجابها شارلي: «انه لم يطه هذا الطعام بالطريقة التي احبها. وقد قلت بأنك ستقومين انت بذلك، كما انك وعدتِ بأن تعودي باكراً هذا المساء.»

اجابت وين تصحح ما قاله: «لقد قلت انني ساحاول العودة باكراً يا شارلي، وآسفة لأنني لم اتمكن من ذلك. على أية حال، أرى أن الطعام الذي امامك ممتازاً لا عيب فيه.»

شعرت برغبة ملحة لتقول له بل لتذكّره كم كان يريد وبالحاح شديد عودة جايمس لينضم إلى حياتهما، وبالطريقة التي كذب عليها ليستدعيه للاستقرار هنا بصورة دائمة، لكنها لم تتمكن من فعل ذلك لوجود جايمس بينهما. ولكنها قالت بالمقابل: «انه لعمل جيد من والدك ان يعد لك طعام العشاء. و...»

قاطعها شارلي قبل ان تتمكن من ان تنهي كلامها وقال: «لم اطلب منه ذلك، كما وانني لا اريده بيننا، ولا أريده أن يتدخل في كل صغيرة وكبيرة ويقول لي ماذا يتوجب علي ان افعل. لقد كانت الأمور افضل بكثير يا أمي عندما كنا بمفردنا.»

ثم دفع بكرسيه إلى الوراء وهمَّ بمغادرة المطبخ قبل ان تتمكن وين من التفوه بكلمة واحدة. كانت تعلم تماماً انه يتوجب عليها ان تناديه ليعود ويعتذر من جايمس، لكن انفعالاتها لم تسعفها على تنفيذ ذلك.

وبعد ان اصبح شارلي خارج المطبخ، التفتت وين نحو جايمس وقالت: «جايمس، أنا آسفة. أنا...»

قاطعها جايمس بقسوة قائلاً: «هل انت حقاً كذلك؟ هل نسيت بانك انت من جعلته يتفهم وبوضوح بانك لا تريديني ولا بشكل من الاشكال في حياتك؟ يجب علي ان اخرج من هنا.»

وعندما خرج من البيت، حملت وين صحن الطعام ورمت ما فيه في سلة المهملات، ثم اخذت تغسل ما علق عليه من

الدهون. وسمعت وقع خطوات شارلي يهبط السلم من الطابق الأعلى ويدخل إلى المطبخ، لكنها بقيت تدير له ظهرها بقصد منها.

ولما انتهت من العمل الذي تقوم به، سألته: «ما الأمر يا شارلي؟ كنت اعتقدت انك تريد والدك ان يعيش معنا؟»

قطب شارلي ما بين حاجبيه ثم قال: «كنت فعلاً اريده في البداية، لكن لا اعرف، شعرت بعد ذلك بأنني لا اريد احداً سوانا، تماماً كما كنا في السابق. لا اريد أن يعيش في هذا المكان أحد سوانا. امي، لو ان شيئاً قد يحدث لك، لو... لو انه حصل أمر ما، هل ساضطر إلى ان الحق به واعيش معه؟»

كان ينبغي من وين ان تبتهج وتفرح بما قاله شارلي، ولكنها شعرت بألم في صدرها من كلماته هذه، لأجل شارلي ولأجل جايمس على السواء. توجهت نحوه وجلست القرفصاء امامه وهو جالس على الكرسي واحاطته بذراعيها بعطف وحنو قائلة: «شارلي، لا يمكنني ان اعدك بأن لا يحدث لي أي حادث، لكن الذي يمكنني ان اعدك به، انني ساحاول جهدي في ان انتبه لنفسي وانا اقود السيارة كي اعود اليك سالمة. لقد اصبحت الآن كبيراً ويمكنك ان تفهم ماذا اعني بكلامي هذا. فلو حدث شيء لي، سيكون والدك شرعاً وقانوناً المسؤول الوحيد عنك من بعدي، لكنني اعلم جيداً بأنه لن يجعلك تعيساً بائساً. كما اريدك ان تعرف بأنه يمكنك ان تختار العيش مع جدك وجدتك أو مع اخوالك، اذا لم تشعر بالارتياح معه.»

أجاب شارلي: «لكنهم جميعهم يعيشون بعيداً، وانا اريد ان ابقى هنا.»

أجابته: «لقد قالت لي هيزر وفي عدة مناسبات انه يمكنها الاهتمام بك اذا كنت تريد ذلك. فهل هذا ما تريده يا شارلي، ان تذهب وتعيش مع ابنها داني؟»

«لا اريد ان اعيش مع احد غيرك يا امي.» قال لها بعاطفة مؤثرة، ثم ضمها بقوة إلى صدره.

«اعرف يا عزيزي، أعرف ذلك.» واخذت تهدىء من خاطره بكلمات حنونة، وقد ادركت كم اثّر فيه ذلك الحادث الأليم وملأ رأسه بالهواجس والمخاوف من المستقبل.

«لا اريدك ان تتزوجي ثانية يا امي، أو ان تنجبي اولاداً آخرين، اريد ان نبقى سوياً إلى الأبد.»

«آه يا شارلي.»

ماذا عليها قوله؟ هل تعده بألاّ تتزوج مرة ثانية؟ انه من غير المعقول على الاطلاق ان تعده بذلك، ليس لأنها تدرك مدى تأثر جايمس الآن، انما لعلمها ان قيامها بمثل هذا الوعد، لهو من الأمور البعيدة جداً عن العقل.

كان الوقت قد تأخر عندما عاد جايمس، لأنها لم تسمع صوتاً له. لقد كانت سيارته متوقفة في الخارج عندما نهضت في الصباح الباكر، لكنها لم تجد له أي أثر قبل ان تتوجه إلى عملها.

تمكنت عند الظهيرة ان تمنح لنفسها اجازة لنصف ساعة وقادت سيارتها لتزور هيزر. انها تريد ان تتباحث معها بالذي حصل معها في الليلة الماضية.

ولما عرفت هيزر الأخبار الجديدة، قالت لها: «آه. يبدو لي انه يعاني من الغيرة الشديدة من ابيه ويخاف ان تحولي اهتمامك اليه. الأولاد كافة يمرون بهذه المرحلة. ان شارلي

يمر الآن في هذه المرحلة الدقيقة، خاصة انه كان يعتقد نفسه بأنه المسؤول الوحيد عنك وعن شؤون المنزل في غياب ابيه.»

تنهدت وين وقالت: «لقد كان جافاً وقاسياً جداً مع جايمس.»

سألتها هيزر: «هل ناقشت هذا الأمر مع جايمس ام ليس بعد؟»

نفت وين بحركة من رأسها، ثم قالت: «لقد... لقد خرج الليلة الماضية، وعندما عاد كنت انا في سريري احاول ان انام. اشعر بالذنب يا هيزر. انه يعتقد بأنني وبتعمد مني احاول ان اعلّم شارلي ليقف ضده، وفي الحقيقة انا لست كذلك. بل على العكس...»

«بل على العكس رحبت بمساعدته في التعامل مع شارلي.»

«نعم. اشعر احياناً أن شارلي يعاني من الاحباط بسببي. فلو انه فعلاً يشعر بالأمان وبالثقة بالنفس لما اضطر لأن يبعد الآخرين عن حياته. واعرف ان ما يعانيه الآن، يعود إلى ذلك الحادث الذي شاهد كل تفاصيله المؤلمة. لكن...»

«لكن ما يقلقك هو ان شارلي يرفض ان يشارككما اي كان حياتكما معاً، حتى ولو كان ذلك الانسان والده.»

«نعم.» وافقتها وين، ثم شهقت بعد ان نظرت إلى ساعة بدها وقالت: «أوه. لقد مر الوقت دون ان نشعر. يجب أن أعود الآن إلى عملي.»

تمكنت هذه المرة من أن تترك العمل في الوقت المحدد. وعندما اوقفت سيارتها امام البيت، لم تجد أي اثر لسيارة

جايمس، ولكنها كانت تعلم ان سبب خروج جايمس الدائم، هو سعيه ليفتش عن مكان مناسب لينشيء شركته التجارية.

وجدت شارلي يهم بالخروج قائلاً لها بانه يرغب في زيارة داني، فطلبت منه ألاّ يتأخر هناك، ثم خلعت معطفها ودخلت إلى المطبخ لتعد لنفسها فنجاناً من القهوة.

وبعد ان جلست وهدأت، وجدت رسالة كتبها لها جايمس، وعندما تناولتها، شعرت بانقباض في معدتها. فضت الرسالة واخذت تقرأ ما جاء فيها بسرعة، وقد ادركت مسبقاً ما قد كتب في هذه الرسالة.

وجاء في الرسالة، بأنه قد قرر مغادرة البيت بعد ان وجد ان ذلك افضل له ولابنه، وقد حجز لنفسه غرفة في احد الفنادق. لقد اتضح له ان وجوده يزعج ويضايق شارلي، لذا فقد قرر وذلك اكراماً للفتى، ان يراجع الأمور بروية قبل ان يعود نهائياً للعيش معهما.

الكلمات التي جاءت في رسالته، خنقت انفاسها في صدرها، كما ان الدموع في عينيها ترقرقت بحرقة والم، وبيأس وغضب... بغضب اكثر عنفاً من أي غضب آخر عصف بها في حياتها، لا بل بانفعال اشد من الذي عاشته يوم اكتشفت خيانة جايمس لها مع مساعدته تارا.

رفعت سماعة الهاتف، وطلبت ارقام هاتف هيزر باصابع مرتجفة، وسألت صديقتها اذا كان بامكان شارلي ان يقضي هذه الليلة عندها مع داني.

وأضافت: «لقد جد شيء جديد، شيء في غاية الأهمية. هل شارلي عندك؟»

ثارت ثائرة شارلي عندما علم بأنه سيقضي هذه الليلة مع

داني، ولكنها تمكنت هذه المرة ان تتشجع وتكون حازمة معه.

وسألها: «هل لأنك خارجة مع توم؟»

اجابته: «لا. هناك شيء هام اريد ان اناقشه مع والدك.»

اجرت بعد ذلك عدة اتصالات هاتفية قبل ان تكتشف بأي فندق ينزل جايمس، فاسرعت إلى سيارتها وهي تمني النفس ان تجده هناك.

ومن حسن حظها ان عاملة الاستعلامات جديدة ليس عندها خبرة كافية في هذا المجال، لذا، وعندما قالت لها وين بأنها السيدة غاردنر، اظهرت تلك العاملة سعادة بينما كانت تعطيها رقم غرفة جايمس، لا بل مفتاح الغرفة أيضاً.

اخذ قلب وين ينبض بسرعة وهي متوجهة إلى المصعد. انه ليس بالعمل الذي تتمنى ان تقوم به لنفسها، وتصورت كيف سيستقبلها جايمس، وكم سيظهر لها عدم رغبته لرؤيتها أو لسماع ما ستقوله له، لكنها الآن ليست في وضع تدافع به عن حقوقها الشخصية، بل انها هنا لاجل شارلي ومستقبل شارلي فقط، ولا يهم ما قد يفكر جايمس به او ما يقوله الآن، لأنه لا يعلم أن شارلي يحتاج إلى والده وإلى المحبة التي قد يوفرها له.

ومما لا شك فيه ان جايمس يحب شارلي، خاصة انه كان ينفذ كل ما يفكر به ابنه ويضعها قبل رغباته هو.

لقد تأكد لها أيضاً انه لا يحبها، لكنه يحب شارلي ويخشى عليه، وهذا ما تريده وتتمناه. لأنها وفي وقت من الأوقات لم تصدق كيف يمكن للأب ان ينكر ابنه ويشعر تجاهه ذلك الشعور الشاذ. وكل ما تستطيع فعله الآن هو التمني ان تكون

مشاعر جايمس قد تبدلت حقاً تجاه ابنه، وانه بات يحبه ويريده.

دقت على باب غرفة جايمس قبل ان تفتحه بالمفتاح الذي اعطتها اياه عاملة الاستعلامات. وجدت جايمس خارجاً لتوه من الحمام، وكان شعره ما زال مبللاً. لكنها وعندما وقعت عيناها عليه، شعرت انها مازالت تحبه وتشتاق إليه وإلى كلماته الرقيقة الحنونة، إلى ان تقول له، بل ترجوه أن يبقى معها... لكنها ذكّرت نفسها اخيراً بالسبب الرئيسي الذي دعاها لأن تكون هنا.

كانت دهشة جايمس بالغة لرؤيتها، وبدا عليه انه غير راضٍ كذلك.

وقال: «وين! ما الذي...»

«جئت لأتكلم معك بخصوص شارلي.» اسرعت تقول مقاطعة قبل ان يحاول قول أي شيء لن يسر خاطرها أو قبل ان يتذمر لوجودها أو يدعوها إلى الخروج حالاً.

لوى قسمات وجهه اشمئزازاً وقال: «اعتقد اننا قلنا كل شيء... أو لنقل ان شارلي هو الذي تكلم عنا... الا تعتقدين ذلك؟»

«انه بحاجة اليك يا جايمس. آه، ربما لا يبدو لك الأمر كذلك، واعلم أيضاً بأنه هو نفسه لا يدرك ويفهم ذلك. انه يمر الآن في مرحلة دقيقة وصعبة، و... حسناً. ساقول لك، انه ليس معتاداً على وجود شخص آخر من جنسه في بيت واحد. لكن...»

«لا تقولي لكن يا وين. انه لم يعد طفلاً، ولقد عبّر عما يريده بوضوح تام. ولا يمكنني ان الومه على ذلك. فلو كنت

مكانه لكنت شعرت بنفس ما يشعر به، ربما كان علي ان اقرأ ما بين السطور وافهم ما كان يعنيه عندما كتب الي ليقول لي بأنه لا يريدك ان تتزوجي من صاحب الفندق، فاعتقدت عندها، بانه يخاف ان يسيء ذلك الرجل معاملته، أو انه قد يضيع بين الأولاد الذين ستنجبينهم منه. أعلم الآن كم كنت غبياً لأنني اسأت فهم معاني ومغازي رسالة شارلي... ولكن، وعلى ما اعتقد، أرى انه لا انت ولا انا قد نضجنا كفاية لنتوقف عن التصرف بغباء.»

«ألا يمكنك ان ترى وتلمس بغريزة الأبوة من خلال تصرفاته كم انه يحتاج اليك في حياته؟ لقد رفضته يا جايمس عندما كان طفلاً رضيعاً، فارجوك ألاّ ترفضه الآن.» توقفت قليلاً لتهدىء من انفعالها ثم تابعت قائلة: «عندما عدت فجأة من استراليا، كنت افكر بوسائل عديدة كي اجعل شارلي ينقلب ضدك، وكان آخر ما اتمناه واريده ان اراك مجدداً في حياتي، لكن الآن...»

قاطعها جايمس ليقول بقسوة: «لكن الآن وجدت انه من المستحسن ومن الانفع لك ان الازم شارلي وابقى معه، وذلك ليتسنى لك ولتوم ان تبنيا عشكما الصغير دون ازعاج ومعاكسات شارلي لكما.»

«لا!» جاء نفيها سريعاً وعنيفاً، وكانت عيناها تتقدان بغضب شديد وهي تحاول في الوقت نفسه ان تسيطر على عواطفها، ثم تابعت تقول: «احب شارلي حباً لم تمنحه امٍ في هذه الحياة لابنها. فكيف تتجرأ على ان تقول...»

فتحداها جايمس قائلاً: «قد تحبينه حقاً كما تقولين، ولكن هل خطيبك المزعوم يحبه هو الآخر؟»

حدقت وين في وجهه بحيرة ثم قالت بارتباك: «خطيبي؟ ولكنني لست مخطوبة لتوم، في الواقع...»

ضغط جايمس عليها مقاطعاً: «في الواقع ماذا؟»

تردد شيء في داخلها يقول لها، ما الذي تخشينه من قول الحقيقة، وبالأخص ان الأمر لم يعد مهماً الآن.

قالت له: «لقد ادركنا انا وتوم منذ فترة بعيدة بأن زواجنا فاشل. كنت اعلم ان شارلي لا يتفق معه، لكنني لم ادرك حقده عليه وكراهيته له الا...»

«الا عندما عدت اليكما وذلك بعدما استنجد بي لعدم رغبته بزواجك من توم، لكنني اكتشفت انه يكرهني أيضاً، لا بل انه يحتقرني ولا يريد مني اية مساعدة...»

قالت له بصوت منخفض: «ان شارلي لم يحتقرك يوماً، بل على العكس، انه يقدرك ويعتبرك بطلاً من الأبطال. وعلى ما اعتقد، هذا ما دفعه لأن يقوم بتلك التصرفات السيئة.»

سألها: «لأنه اكتشف بأنني لم اكن على الصورة التي صورها له عقله؟»

أجابته: «لقد اثر الحادث فيه تأثيراً بالغاً يا جايمس. تصور انه سألني ليلة البارحة ما الذي قد يحصل له لو انني... لو انني اصبت بحادث ما.»

تحداها جايمس باشمئزاز: «وبماذا اجبته؟ لا يهم ان لم يأت ليسكن معي اذا لم يرغب بذلك.»

«ألم تفهم بعد يا جايمس بانه من المهم جداً ان تكون في حياته، وان تتفقا معاً قلباً وقالباً، و...»

«تقولين قلباً وقالباً معه؟ وهل تعتقدين بان ذلك بالأمر

السهل؟ لا اعتقد ذلك، خاصة انني ساعود إلى استراليا بينما هو سيكون هنا.»

سيعود إلى استراليا؟ ارتعشت وين واضطربت لهذا الخبر فتمسكت بحافة الكرسي كي لا تهوي على الأرض. فما قاله سبب لها صدمة قاسية فارادت ان تبكي، ان تتوسل إليه، ان تتعلق به وترجوه ان يقول لها بأن أذنيها اخطأتا بالذي سمعته. ولحسن حظها، ابقتها الصدمة جامدة بلا حراك.

ثم قال مديراً لها ظهره: «يبدو ان افضل ما يمكن عمله، هو ان نواجه الواقع يا وين. ربما يرضيك الآن ان ادخل في حياة شارلي، ولكن من المؤكد ولا جدل في ذلك، ان هذا القرار لن يرضيه ابداً... وبالأخص عندما يعتقد بأنني اشكل خطراً على علاقته معك.»

حدقت وين في وجهه غير مقتنعة: «ماذا تقصد بكلامك؟»

«اقصد يا وين، ان شارلي وكأي شخص آخر، يرفض ويمانع دخول من هو من جنسه في حياته التي يعتبرها مملكته. وهذا هو السبب الذي جعل شارلي يرفض وجودي في حياته يا وين. كما انه لا يريدك انت أيضاً في حياتي.»

تورد وجه وين بحمرة الخجل، وتساءلت هل انه يحاول ان يقول لها بأنه عرف ما تشعر به نحوه، وانه لاجل هذا السبب فقط، قرر ان يعود إلى استراليا؟

غمرتها موجة هائلة من خيبة الامل، فاضعفت قواها وشلتها.

قالت له بعنف: «لو انك حقاً ودوداً لشعر هو بذلك الحب. دعه يدرك ويعي مدى اهمية الوصول إلى فهم الحقيقة والابتعاد عن انفعالاته السلبية. انه بحاجة اليك يا جايمس،

www.elroanaa.com

بحاجة اليك لتعلمه كيف يصبح الفتى رجلاً... فأنا كما تعلم لا يمكنني ان اظهر له ذلك. انه حتى في حاجة اليك اليوم اكثر من حاجته اليك عندما كان طفلاً. لقد ادرت له ظهرك بالأمس، فلا تدر له ظهرك اليوم. ارجوك. انه ابنك فلا تتخلى عنه. أنا أعلم بأنك لا تريدني في حياتك، لكن شارلي...»

«ماذا؟»

اخرستها الحدة الشديدة في نبرة صوته وحيرتها، فنظرت إليه مترددة وغير متأكدة.

ثم قال بلهجة آمرة: «ما الذي قلته؟»

ازدردت وين ريقها الجاف مضطربة لا تدري بما تجيب ثم قالت متلعثمة: «قلت... قلت ان شارلي بحاجة...»

وعاد يسألها جايمس وقد نفد صبره: «لا. لا لم اقصد ذلك، ماذا قلت بخصوص عدم رغبتي بك؟»

حولت نظرها عنه إلى النافذة مترددة حائرة. كان قلبها ينبض بعنف وخوف من هذه اللحظات الحرجة، وشعرت بالغثيان وبدوران شديد في رأسها، فخافت وذعرت من المذلة التي قد تعانيها من ردة فعل جايمس.

«قلت انني اعرف بأنك لا تريدني في حياتك.» اجابته بجفاف في حلقها دون ان تتمكن من النظر في وجهه، ولاحظت بعد ذلك بأنه اخذ يتقدم نحوها.

ارتعشت وصدمت عندما امسك بها بيديه القويتين، وسألها مشمئزاً: «ما الذي تريدين قوله؟ خصوصاً انك تعرفين، بل متأكدة من ان ذلك غير صحيح. حتى انك في احدى المرات قلت لي بانك تعرفين السبب الحقيقي لعودتي

من استراليا وما اريده على وجه التحديد. فمن اي نوع هذه اللعبة التي تريدين التلهي بها الآن يا وين؟ هل خطر ببالك ما الذي تفعلينه بي. اتيت ورائي إلى هنا لتقولي لي بأن شارلي... بأن ابني بحاجة إلي ويريدني، وتحاولين ان تجعليني اشعر بأسوأ الحالات لأنني لا استطيع السيطرة على مشاعري وعواطفي، ولا اعرف فيما لو ابقى أو أرحل...؟ بينما انت واقفة امامي بهذه البرودة وتمام السيطرة على النفس، حيث انك تعلمين...»

ماذا؟ هل يصفها هي بالبرودة وضبط النفس؟ حدقت وين في وجهه متسائلة، الا يمكنه ان يشعر بمدى اضطرابها، الا يمكنه ان يرى... الا يمكنه ان...

وتابع هو قائلاً: «الا تدركين مدى ما يحصل لي من اختلاجات واضطرابات لأنني لا استطيع السيطرة على نفسي وأردعها عن أخذك عنوة بين يدي وفي هذه اللحظة وفي هذا المكان.» واخذ نفساً عميقاً قبل ان يتابع الكلام: «لا اتعجب لمَ لا يريدني شارلي ان ابقى، لأنه يعرف تماماً شعوري تجاهك، كما انه يعرف أيضاً، مشاعري تجاهه وحبي له. ولكنني اقول ذلك بناءً على ما اشعر به تجاهكما، لو انه فقط تمنح لي الفرصة، حتى لو كانت ضئيلة، من المؤكد انني قد اعود إلى حياتكما...»

لم تصدق وين اذنيها، فهل هذا الذي يكلمها بعاطفة وحنان هو جايمس بالذات؟ وقد قال لها انه لا يستطيع ضبط مشاعره وعواطفه؟

وسمعته يقول وكأنما صوته آت من بين الغيوم: «احبك يا وين. آه لو تعلمين كم أحبك.»

«لكن... لا يمكنني ان اصدق ذلك، لقد هجرتني... لقد... كان هناك امرأة أخرى...»

«لا. ابداً. آه، نعم اقر بأن تارا شغفت بي، ولكنني لم اكن اريدها ولا بشكل من الاشكال. وغلطتي الكبيرة انني سمحت لها ان تشعر بي، خاصة عندما تصرفت بغباء وكنت يومها في حالة نفسية متعبة لا احسد عليها، وتركتها توصلني إلى البيت، فاعتقدت انها تريد ان توصلني اليك، إلى بيتنا. لكنني تلقيت اعظم واكبر صدمة في حياتي، عندما استيقظت في اليوم التالي لأجد نفسي في شقتها...»

سكت فجأة عندما شاهد تبدل ملامح وجهها ليتابع مشمئزاً: «لكن لم يحدث بيننا أي شيء.»

سألته: «كيف يمكنك ان تؤكد ذلك؟ فقد قلت انك كنت في حالة نفسية متعبة.»

اجابها: «لأنني كنت في هذه الحالة، اعرف، لا بل متأكد بأن شيئاً لم يحدث بيننا.»

«ولكنك وافقت على طلاقي منك! انك حتى لم تحاول ان...»

أخذ يتأملها ملياً بحنان وقال: «آه يا وين. لا استطيع الاستمرار على هذه الحال، حتى ولا اكراماً لشارلي. احبك كثيراً، الا يمكنك ان تلاحظي ذلك؟ فالافضل لنا جميعاً ان اعود من حيث اتيت. انك تدركين الآن ما يمكن ان يحدث لو انني بقيت، لذا اجد نفسي مضطراً إلى العودة.»

فقالت وين بلهفة: «لكنني... لكنني اريدك ان تبقى.»

اخذا يحدقان ببعضهما البعض بينما اخذت نبضات قلبيهما تزداد، وقد عجز لسانهما عن الكلام.

تكلم جايمس اخيراً وقال بمرارة: «لا يمكنني، وذلك من اجل شارلي.»

هزت وين رأسها بعنف ثم قالت: «لا. ابقى لأجلي انا... انني لم اتوقف عن حبك يوماً يا جايمس.»

نظر إليها نظرة ساخرة وقال: «لم تتوقفي ابداً؟ كيف ذلك وانت لم تحبيني ابداً يا وين؟ كيف يمكنك ان تحبيني وانت ما كنت سوى طفلة في ذلك الحين. آه. هل ساتخلص يوماً من عقدة الذنب لأنني احببتك؟ لقد هدمت حياتك يا وين. لقد احببتك. ولكن بأنانية كبيرة وتجاهلت كل من قال لي بانك مازلت صغيرة وغير ناضجة. فلو انني حقاً احببتك، كان علي ان ابتعد عنك بعض الوقت حتى تكبري اكثر وتصلين إلى مستوى المرأة الحكيمة الناضجة... ولم اصبر عليك بل ربطتك بالرباط الزوجي الذي لم تكوني مهيأة إليه بعد.»

نظرت وين إليه ملياً ثم قالت: «الأمر لم يكن كما تتصوره، فماذا تقول؟ لقد اقتنعت كل الاقتناع بالزواج منك.»

فاجابها بقسوة: «كل الذي اردته مني هو علاقة الزوجة بزوجها لا اكثر.» ثم تأوه بألم عندما رأى التأثير العميق على وجهها وتابع يقول: «وين... وين... يجب ألاّ تخجلي من ذلك، فلو ان اخوتك الاشقياء لم يعاملوك بالحذر والحماية، لكانت الحياة علّمتك حتى قبل ان تتعرفي علي، بأن للعلاقة الزوجية قوة وسلطة رهيبة على بني البشر، لكن وبما ان اخوتك قاموا بحراسة شديدة عليك فتربيت تربية خاطئة لا تفقهين منها مشاكل الحياة والمجتمع الذي يحيط بك، اعتقدت بأن العلاقة الزوجية والحب بمفاهيمه، هما توأمان لا يتجزآن.

كنت اعرف انني مخطىء، ولكنني تجاهلت الأمر. لكن هذه غلطتي انا وليس الذنب ذنبك على الإطلاق. كان يتوجب علي ان امنحك وقتاً اطول، وان اصادقك واتعرف عليك قبل ان اسمح لنفسي بالزواج منك. والسبب الذي منعني من ذلك، هو خوفي من ان اخسرك وافقدك، فاسرعت وتزوجتك وكان الذي كان.»

اعترضت محتجة: «ولكنني أردت ان أتزوجك.»

وافقها قائلاً: «نعم في البداية. ولكنك سرعان ما غيرت رأيك، اليس كذلك؟ وجعلتك بعد ذلك حاملاً. انه امر ليس بوسعي ان اسامح نفسي عليه.»

صرخت وين قائلة: «لا يمكنك ان تلوم نفسك ابداً!»

«لقد كنت طفلة، طفلة لكن بجسد امرأة تحمل ابني.»

اجابته بحدة: «كنت في التاسعة عشرة من عمري.»

«لم آت على ذكر عمرك يا وين، اعني بأنك لم تكوني ناضجة فكرياً بعد، آه كم كرهت نفسي لما فعلته لك، ولقلة اهتمامي باتخاذ الاحتياطات الضرورية لعدم حملك، لكن ومع ذلك. آه، كم اردتكما انتما الاثنين.»

لم تستطع وين ان تصدق ما كان يقوله جايمس.

وقالت بارتعاش: «ولكنك كرهتني عندما وجدت انني حامل، وبالكاد كنت تنظر إليّ عندما نتكلم.»

صحح جايمس اوهامها قائلاً: «لم اكن اكرهك انت، بل كنت اكره نفسي.»

«لكنك كنت في غاية الغضب والثورة يوم ولادة شارلي، وعندما كان ينتحب ويبكي، وعندما...»

«لقد كنت ثائراً غاضباً من نفسي وليس منك يا وين، لأنه

كان علي أن أتجنب حدوث الحمل. كما ان عائلتك اعتقدت نفس الشيء أيضاً ولم ألمها على ذلك. فعندما قلت لي انك لم تعودي تحبينني وطلبت الطلاق مني، ادركت ان عائلتك كانت على حق، وشعرت بأنني خدعتك وحجزت عليك حريتك. لذا لم يكن في مقدوري ان استمر في هذا الوضع اكثر من ذلك، فمنحتك الطلاق، وابتعدت عنك وعن شارلي لامنحكما حياة افضل واهنأ دون وجودي بينكما. لا تتصوري كم كان الأمر صعباً علي، لا بل كان من اصعب الأمور التي واجهتها في حياتي. ولكن، وبالرغم من ابتعادي عنكما، ظل ضميري يعذبني ويؤنبني على ما اقترفته يداي في حقك، كان والديّ يرسلان لي صوراً لكما، وعائلتي تكاتبني باستمرار. وكان ألمي يزداد وأتحسر على عدم رؤيتكما سنة بعد سنة. وبعد ذلك عندما اصبح شارلي في السادسة من عمره، بعث لي والدي رسالة كتبها شارلي مرفقة ببطاقة معايدة صنعها بنفسه، فلم اقو على تحمل كل ذلك... وشعرت بأنه علي الاتصال به وبك أيضاً.»

اضطربت وين وقد تذكرت تلك المناسبة التي بعث بها شارلي بطاقة معايدة لوالده، وكان ذلك قبل ان يتقاعدا والدي جايمس ويسافرا إلى مكان آخر. وكان شارلي طوال ذلك الحين يسألها اسئلة عديدة عن والده بغية ان يتعرف عليه اكثر. وكانت من ناحيتها تجيبه على تلك الاسئلة بصدق بقدر ما تستطيع. انها تذكر الآن كم بكت وتألمت عندما اراها البطاقة التي صنعها في المدرسة اكراماً لوالده. وتذكرت أيضاً كم ارتاحت وهدأت عندما توقف عن ان يريها البطاقة لأنه كان قد ارسلها إلى والده بواسطة جديه.

تابع جايمس قوله: «ها أنت تعلمين الآن لماذا لا استطيع البقاء. فأنا غير قادر على ان اتحمل رؤيتك بعيدة عني، ولا تدرين كيف مزق الحسد والغيرة قلبي لصداقتك مع صاحب الفندق... غيرة وحسد لا تقدران ولا توازيان شيئاً من غيرة وحسد المسكين شارلي. وشيء ما في اعماقي يرفض رفضاً قاطعاً ان تكوني لغيري.»

قالت له وين بلطف: «أمر غريب فعلاً، لأنني اشعر أنا أيضاً نفس ما تشعر به انت بالذات.»

نظر جايمس اليها مطولاً بشك وتردد، وبقلب يرتجف آملاً ان تعود المودة والمحبة اليهما.

سألها بقلق: «اين شارلي؟»

اجابته بثبات مطمئنة إياه: «ان شارلي بخير، وسيمضي هذه الليلة في منزل هيزر.» ثم ضحكت وقد فهمت معنى نظراته لها وقالت: «هيا نعود إلى البيت.» إلى البيت ليعيشا الحب من جديد وليعيدا السنوات الضائعة من عمرهما.

وعندما اصبحا في البيت والسعادة تحيط بهما من كل جنب وصوب، سألها بقلق: «الا تعتقدين بأنه ينبغي علينا ان نذهب لاحضار شارلي؟»

نظرت وين إليه بشوق وكأنها لا تصدق انها فازت به من جديد وقالت: «نعم. لكننا لن نفعل ذلك الآن، فهذه الأمسية هي لنا، أنا وأنت فقط يا جايمس، والتي سنعيد فيها بناء ما تهدم وفرق بيننا، لنجمع فيها ماضينا وحاضرنا ومستقبلنا البعيد.»

«لنفكر ونقرر امورنا لاحقاً، لكنك تعلمين جيداً بأن شارلي لن يسعده ويرضيه ذلك.»

وافقت وين قائلة: «نعم، ولكن في البداية فقط. ولا تنس بانك انت والده يا جايمس.»

«نعم، كما انك انت والدته. فمتى تزوجنا من جديد وعندما يعلم بأنني سأبقى دوماً معكما...»

ارتجف قلب وين بسعادة لا توصف، عندما قال جايمس بنفسه انهما سيتزوجان من جديد. إعلان لطالما تاقت نفسها إلى سماعه من فمه.

«لكن هل ستنجح الأمور بيننا لو اننا تزوجنا من جديد؟» سألته وين بقلق وخوف من عدم نجاح هذه الفكرة.

اجابها بسرعة: «آه نعم يا وين. سنسعى جاهدين لانجاحه.»

لم يتقبل شارلي الأمر بفرح عندما اخبرته وين بأنها وجايمس سيتزوجان من جديد. وخشيت من ناحيتها ولمرات عديدة، ان يعدل جايمس عن ذلك عندما لاحظت رفض وتعنت ابنها شارلي لهذا القرار، وصبر جايمس وجلده.

ولكن قبل اسبوعين من موعد زواجهما، هرب شارلي من البيت. وكان جايمس هو الذي وجده بينما كان يحاول ان يوقف احدى السيارات على الطريق العام، فاعاده إلى البيت، وكلّمه وطيب خاطره عندما اخذ يذرف الدموع الغزيرة.

اضطربت وين من ذلك، فكانت المرة الأولى التي تشعر فيها بعدم رغبتها بالزواج من جايمس، وذلك ليس من اجل شارلي، انما لاجل جايمس نفسه. لكنه هدأ من روعها، واشار اليها بالتحلي بالصبر لفترة قليلة، وان تمنح شارلي فرصة ليتجاوز فيها صراعه الداخلي مع نفسه.

ومما قاله لوين: «انه يحبنا نحن الاثنين لكنه اعتاد ان

تكوني له دائماً، لذا فإن شيئاً في داخله يرفض ان تكوني لشخص آخر.»

«ولكنه حاول ان يثير مشاعري وحاول الهروب ليثبت لي عدم رغبته بك...»

اجابها جايمس بجفاف: «هذا هو حال الأولاد الذكور دائماً، خاصة اذا كان مقروناً بالحسد والغيرة.»

كان زفافهما هادئاً ولم يقوما برحلة شهر العسل. لكن جايمس قرر ان يذهبوا جميعهم في اجازة عائلية بعد ان ينتهي من تأسيس عمله الجديد.

كان شارلي في تلك الأثناء ينزوي بعيداً عن امه، وقد وجدت نفسها راضية لذلك، ولكنها شعرت بنفس الوقت بالذنب لابتعاده عنها.

لقد كان ينضج بسرعة، وقامته تزداد طولاً، حتى ان صوته اخذ يخشن بعض الشيء، انه لم يعد طفلاً. وكانت تقلق في سرها خفية عن جايمس، كيف وإلى اي مدى سيؤثر زواجها على حياته الشخصية، وكم ان تصرفه الشاذ لجايمس سيؤثر على زواجهما.

انها تعلم جيداً ما يشعر به من حقد وعداء لجايمس في داخله، مع انه يتعامل معه بشكل طبيعي.

وكأن هذه الحالة العصبية لم تكن كافية، فقد بدأت وين تشعر بصحتها تتعب تدريجياً، وتخسر من وزنها وتشعر طوال الوقت بالدوار والغثيان. كما وان اي عمل كانت تقوم به يشعرها بالضعف والانحطاط، حتى ولو كان بسيطاً وسهلاً.

اخبرت صديقتها هيزر بكل ذلك وطلبت منها ان تسدي لها النصيحة.

فسألتها هيزر بعد تفكير بسيط: «هل انت حامل يا وين؟»

حامل؟ ان هذا لم يخطر ببالها ابداً، كيف يمكنها ذلك، وبالأخص انها ام لفتى في الثالثة عشر من عمره؟

كيف حصل هذا الأمر وبهذه البساطة؟ انها الآن وللمرة الثانية تشعر بالخوف من اعلان هذا الخبر، ليس لجايمس، فهي تعلم وبغريزتها انه سيتلقى هذا النبأ بالترحاب الشديد، لكن لشارلي... كيف من الممكن أن تكون ردة فعله؟

يتوجب عليها ان تعلمه بذلك قبل ان يبدو الحمل عليها بوضوح، نعم يجب ان يعرف هو بالذات أولاً.

* * *

«حسناً يا زو. لقد حان وقت النوم بالنسبة لك.»

نعم لقد انجبت وين طفلة وها هي الآن بعمر السنتين. حملها شارلي عن الأرض بيدين خبيرتين بعد ان سمع ما قالته والدته.

قالت له وين وقد همت بالوقوف: «دعني اقوم بذلك بنفسي يا شارلي.»

لكن شارلي هز برأسه نفياً، وقال لها: «لا يا أمي، ابقي حيث انت، فوالدي لن يغفر لي اذا سمحت لك بأن تقومي بذلك، خاصة وانت في نهاية حمل جديد. أذكر انه أيضاً كاد ان يفوت عليه ولادة زو منذ سنتين.»

عادت وين تجلس على المقعد. انها فعلاً تشعر بالتعب والإرهاق، فابنتها ذات السنتين تضج بالحركة والنشاط ولا تجعلها تهدأ أو ترتاح. وها هي الآن وفي حملها الثالث، تشعر بتعب وارهاق لا يمكن وصفهما.

فلولا انه ومنذ ثلاثة اعوام مضت، تمكنت من ان تتخيل صورة هذا الحاضر الذي قد يأتيها سواء ابت ام رضيت، لما كانت صدقته. وهذا يظهر ويبين فقط، كم ان الايام تتغير وتتبدل.

كان شارلي وفي فترة حملها بالصغيرة زو، صعباً عنيداً وكثير الانطواء على نفسه، وكانت تشعر وتتعاطف معه وقد ادركت كم ان الأمر صعباً وأليماً على نفسه. ومرت الايام لتحمل من جديد، فاصبحت زو لا تطاق خاصة وان والدتها اهملتها وحملت مسؤولياتها لشارلي.

وكان قد دخل إلى غرفة الولادة في المستشفى يوم ولادة زو دون ان يشعر به أحد من الممرضات بسبب الخوف والألم اللذان سيطرا على وين، وبعد ذلك، لاحظوا وجوده فاخرجته احدى الممرضات بسرعة وادخلته إلى غرفة الانتظار.

وعندما انتهت عملية الولادة، حمل جايمس الطفلة زو وقدمها إلى شارلي قائلاً بلطف: «انك محظوظة جداً ايتها السيدة الصغيرة... هل تعلمين ذلك؟ فمن دون شارلي بيننا كنت...»

لكن شارلي لم يكن مصغياً لكلام والده، بل كان يحدق بالطفلة بذهول تام، وكأنه يقيس حجمها بالنسبة إليه.

كانت زو نجمة صف شارلي في المدرسة في ذلك الصيف، في الدروس التي كان يتلقنها بمساعدة الأم في رعاية الاطفال، فبرع بسرعة في ذلك ليصبح خبيراً في هذا المجال. والذي كان يؤلم قلب وين، انه وعندما ابتسمت زو لأول مرة لم تكن ابتسامتها لها بل لشارلي.

وفي الصيف نفسه، قال لها شارلي بأنه كان يخشى

عليها ان تموت يوم انجبت زو وبأنه قد يصبح وحيداً بعد ذلك، فارتجفت وين لقوله وضمته إلى صدرها بحنان.

وقالت له مهدئة: «من النادر ان تحدث مثل هذه الأمور في ايامنا هذه.»

«آه، نعم، اعرف ذلك الآن. لكنني أدركت يومها معاناتك و...»

كادت وين ان تجيبه بأن ولادة زو لم تكن بالولادة العسيرة، ولكنها تمنعت عن ذلك.

أضاف شارلي: «وها نحن الآن عائلة كاملة.»

عائلة كاملة، فترقرقت عينيها بالدموع، لكنها تمكنت ان تمنعها من السقوط.

لقد قررت هي وجايمس ألاّ ينجبا اطفالاً آخرين بعد هذا الحمل الذي تحمله الآن، فالذي سيأتي سيكون رفيقاً لزو. وأملا ان لا تغدو فتاة مدللة في المستقبل، فهذا لا يعني ان جايمس ووين هما اللذان يكثران من تدليلها وافسادها.

انه شارلي الذي يدللها دون ان يدري مدى خطورة ذلك. وباشارة من اصبعها الصغير، وتتبدل الأمور فتحصر زو اهتمامها به وتترك شارلي في حاله. وسمعت بعد ذلك نداءات ابنتها زو تنادي على شارلي كأنها احدى الملكات وعليه ان يلبي النداء وبأقصى سرعة: «شارلي! شارلي. تعال واقرأ لي! هيا اسرع!»

كانت صديقة شارلي في البيت ولم تستطع ان تحتمل ذلك، فاسرعت وين تصعد السلالم إلى الطابق الأعلى لتقول لابنتها بأن لشارلي اعمال اكثر اهمية ليقوم بها من ان يقرأ لها قصة قبل النوم.

قالت زو بحزم وعناد: «لا، ليس انت، اريد شارلي.»

«لشارلي اعماله الخاصة به.» قالت لها وين وقد تجاهلت معارضتها وبكاءها، بينما كانت تضحك سراً.

«ما الذي يضحكك؟» قال لها جايمس وقد دخل إلى غرفة زو.

«ليس من شيء مهم في الحقيقة. فقد كنت افكر كم ان الجولة الثانية ستكون اسهل.»

«اسهل؟ لا اوافقك على ذلك.»

فقالت وين بتحبب واستدارت نحوه: «لم تفهم قصدي. اعني الأولاد... زو... اعني...»

وتوقفت عن اتمام كلامها بعد ان قاطعها قائلاً: «حبيبتي... أحبك، أحب حياتنا أحب أولادنا... أحب كل شيء فيك.»

نظر كل منهما إلى الآخر وكأنه يقول: «هكذا دوماً سنبقى... وإلى الأبد.»

تمـــــت